وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

UNIVERSITY OF BAGHDAD

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد . كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية . فصلية . محكمة

تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

العـــــدد
(٤١)

(الجـــزء الاول)

(٩) جمادي الآخر ١٤٣٦هـ - (٣٠) اذار ٢٠١٥م

ايميل المجلة : journal@cois.uobagdad.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

فهرس الموضوعات
(الجزء الاول)

كلمة العدد.....ص ٦

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
المقاصد الفخرى في بعض مناقب السيدة خديجة الكبرى	أ.م.د عبد الحافظ عبد محمد الكبيسي	٩_٤٨
دلائل نبوة محمد (ص) وأسس فهمها في رسائل النور	د. عبد السميع مجمد الأنيس	٤٩_٨٩
الإمام النووي ومنهجه في كتابه رياض الصالحين (٦٣١_٦٧٦هـ)	م.د ماهر طاهر إسماعيل	٩٠_١٣٥
الاحتجاج بعمل أهل المدينة وأثره في فقه الشريعة الإسلامية دراسة أصولية وفقهية	أ.د إسماعيل كاظم لواص العيساوي أ.م.د نجم الدين قادر كريم الزنكي	١٣٦_١٨٤
زوجة المفقود وأحكامه في الفقه الإسلامي	د. لقاء عبد الحسين	١٨٥_٢١١
حكم خضاب الشعر بالسواد	د.فاضل محمود قادر د. أكرم بايز محمد	٢١٢_٢٣٩
أحكام وضوابط التصرف في المال العام بين الشريعة والقانون	د. ادريس إبراهيم صالح	٢٤٠_٢٨٥
فقه الحشرات_دراسة مقارنة لإحكام الحشرات والديدان في الفقه الإسلامي	د. عادل عبد الستار عبد الحسن الجنابي	٢٨٦_٣١٨
المقاصد التحسينية قراءة في المفهوم والبعد الوظيفي	د. قطب الريسوني	٣١٩_٣٥٤
تطبيقات المرابحة المصرفية في مرحبة التواعد دراسة فقهية تأصيلية	د. محمود محمد علي الزمناكويي	٣٥٥_٤٣٥
المستوى الدلالي في شعر معن ابن أبي اوس المزني	د. هشام سعيد النعيمي	٤٣٦_٤٧٣
الأدب العربي في ظل أمارة الورن الإسلامية في نيجيريا	د. لطيف أونيرتي إبراهيم د. عيسى ألبي أبو بكر	٤٧٤_٥٣٠
حكم قول الرجل لزوجته أنتِ عليّ حرام	م.د ضياء الدين عبد الله محمد صالح	٥٣١_٥٥٣
الجهود اللغوية عند الفيلسوف أبي نصر الفارابي	م.د باسم محمد حسين	٥٥٤_٥٩٢

الأدب العربي في ظل إمارة إلورن الإسلامية في نيجيريا

بقلمي

د.لطيف أونيريتي إبراهيم و د. عيسى ألبى أبوبكر

المحاضرين بقسم اللغة العربية، جامعة إلورن،

إلورن، ولاية كوارا، نيجيريا

By

Lateef Onireti Ibraheem(Ph.D)

&

Isa Alabi Abubakar(Ph.D)

LECTURERS, DEPARTMENT OF ARABIC،

UNIVERSITY OF ILORIN،P.M.B.1515،

ILORIN ،NIGERIA.

E-mail: oniretill@yahoo.com, isaalabi2003@yahoo.com

،Phone:+2348036501786

+2348082863111

الأدب العربي في ظل إمارة إلورن الإسلامية في نيجيريا

ملخّص البحث

حاول البحث دراسة أحوال الأدب العربى تحت الممالك أو الإمارات الإسلامية فى قارة أفريقيا الخضراء. ولضيق نطاق البحث ركزنا الجهود علي إمارة إلورن فى نيجيريا لتكون مرآة تنعكس فيها آثار هذه الممالك فى الأدب. ولتحقيق الغرض المنشود من البحث عرضنا نبذة طفيفة عن تاريخ ظهور الممالك الإسلامية فى قارة أفريقيا وأنواعها وذكرنا الذين لعبوا أدورا ملموسة فى تأسيسها وتحديد عهود كل منها على حدة، قبل فصل الخطاب حول إمارة إلورن التى صورنا موقعها الجغرافى وبينا عوامل نشأتها وتوسيع رقعتها نا إلى البلدان المجاورة لها، وذلك قبل نقاش الأدب تحت ظلها. وعند نقاش ذلك أمعنا النظر فى لوار التى مر عليه، والمؤثرات التى أدت إلى تطوره وازدهاره حينا وهبوطه حينا آخر ونهوضه أخيرا. كما خصصنا الكلام حول تأثيره في الآداب الأجنبية الأخرى فى الإمارة. ونتيجة لذلك كله أدركنا أن وصول الشيخ عالم بن جنتا وأبنائه إلى أرض إلورن واستعانته بعلماء ربوة السنة، الذين أدركهم الشيخ فى مدينة إلورن، وتوافد العلماء من مختلف الأماكن الإسلامية، داخل نيجيريا وخارجها، إلى إلورن أدت إلى قيام الدولة الإسلامية فيها فظهرت إثر ذلك حركة أدبية علمية عربية عجيبة تصبغت بصبغة إسلامية. بدأ هذا الأدب ببطء بأسلوب محاكاة العرب وتقليدهم فى نظم الشعر وتأليف النثر الفني ثم تطور أخيرا إلى درجة الإبتكار أصالة، فضعفت شوكتها عند حلول المستعمرين فى نيجيريا، ونهض من جديد بفضل تأسيس المدارس لنظامية العربية فى البلاد. وزاد هذا النهوض نشاطا عندما استقلت نيجيريا وفتحت السفارات العربية أبوابها على مصراعيها فى نيجيريا الذى من إثر ذلك توافدت البعثة العلمية إلى بلاد العربان ورجعوا إلى أهاليهم متمكنين فى أسرار اللغة العربية وآدابها. فتقمص الأ ب على أيد هؤلاء وإخوانهم الذين تخرجوا في جامعات نيجيريا بزي جديد رائع يوافق روح العصر الجديد، صفاته التنميق والأصالة والروعة وحسن الديباج وفوق ذلك كله إسلامي يطرق الفنون الأدبية بأجمعها بشكل مدهش. وأدرك البحث أن الأدب العربى فى هذه الإمارة أثَر فى الآداب المحلية الأخرى ففى ناحية الشعر ظهر شعر شعبى باسم "واكا إلورن". أخيرا وجد البحث أن هناك مخطوطات عربية من أعمال أدباء إمارة إلورن لا تزال في خبايا الطمور، تضطر الي المنقح والمحقق والناشر فدعا البحث إلي الإسهام في هذا المضمار،هل من مسهم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد المصطفى الأمين، و على آله وصحبه أجمعين. أمَّا بعد:

فقد قامت فى أفريقيا ألوان مختلفة من الدول، وأشكال متباينة من الحكومات في العصور المتعاقبة. فمنذ أن اتسعت الفتوحات الإسلامية إلى تونس ومصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وما ولي ذلك من توجيه عمرو بن العاص عقبة بن نافع بفتح بلدان أفريقيا الجنوبية، ظهرت عدة دول وممالك إسلامية بدءاً بدولة المرابطين ثم دولة الموحدين فمملكة غانا الإسلامية، ومملكة مالى، ومملكة سنغي، ومملكة آهير، ومملكة كانم–برنو وما عاصرتها من الإمارات، وما بعدها مثل إمارة صوكوتو وإمارة إلورن .

وقد أثرت هذه الدول والممالك والإمارات الإسلامية في الأدب العربي تأثيرا إيجابيا،كما سجل لنا التاريخ الازدهار والنهوض في هذا الأدب بعد سقوطها.فمهمة هذا البحث إمعان النظر في أحوال الأدب في ظل هذه الممالك. فبما أن البحث ضيق نطاقه من أن يستوعب جميع الممالك والإمارات بالنقاش، فإنه يرتكز على إمارة إلورن الإسلامية في نيجيريا لعل ذلك يكون مرآة شفافة تعكس لنا صورة الممالك والإمارات الباقية.

ولتحقيق هذا الغرض النبيل قسمنا البحث على ثلاثة أقسام فضلاً عن المقدمة. فالقسم الأول: يتناول التعريف بإمارة إلورن الإسلامية من حيث موقعها الجغرافي و نشأتها وقيام الدولة الإسلامية فيها. والقسم الثاني: يتحدث عن أحوال الأدب العربي في الإمارة بناء على العصور المختلفة التي مرّت عليها، ثم القسم الثالث: الذي تضمن نتيجة البحث.

القسم الأول: التعريف بإمارة إلورن الإسلامية

ا- الموقع الجغرافي لإمارة إلورن

تقع إمارة إلورن في ولاية كوارا بجمهورية نيجيريا الفيدرالية، وهي على بعد ٣٠٠ كيلومتر من لاغوس (عاصمة نيجيريا القديمة) و ٥٠٠ كيلومتر من أبوجا العاصمة. وهي علي خط العرض ½ ٨ شمالا، وخط الطول شرقا[١]،وتحدها من الشمال بلدة جيبا، ومن الجنوب بلدة بيدي ومن الشرق بلدة غاما ومن الغرب بلدة ألابا. تتضمن الإمارة حاليا خمس حكومات محلية، وهي: إلورن وست، وإلورن سوث، وإلورن إيست، وأسا ومور. وكانت الإمارة إمارة إسلامية في بلاد يوربا، وتشتمل على قبائل وشعوب مختلفة العادات ولكن لغتها الرسمية المحلية يوربا.

ب- تأسيس الإمارة وتوسيع رقعتها

بدأت الإمارة بقرية صغيرة تدعى إلورن، أسست فيما بين ١٦٠٠ م و م١٧٨٠ م[٢]، وهناك تضارب في الآراء حول مؤسسها، فمن قائل إنه صيّاد اسمه (أَوْجَوْ إِسَيْكُوسَيْ)، وقائل إنه صياد اسمه (إيميلا) أو (إيلينلا)، وقائل: إنَّها تأسست على يد صياد اسمه (لدَيْرِنْ)[٣] ثم التجأ إليها رجل يدعى (أَفَنْجا) وهو القائد الأعلى لمملكة يوربا حينذاك، وبعد فشله من سرية بعثه إليها ملك المملكة وكان من عادة يوربا أن ينتحر القائد الأعلى إذا انهزم أو لم ينتصر خلال ثلاثة أشهر من بداية الحرب، وبدلا من أن ينتحر (أفنجا) لاذ بالفرار إلى إلورن حيث تنازل له قيل القرية من الرئاسة. ثم نزل بهذه القرية بعض الفلانيين رعاة الغنم، وتمركزوا بمنطقة غَا برئاسة رجل يدعى (أَوْلُوفَدِي). ونزل كذلك أناس من قبيلة هوسا في منطقة (غمبري) ورئيسهم (باكَوْ)، ونزلت بالقرب من القرية جماعة من المسلمين التى تكونت من اليوربويين والبرابرة، وكان رئيسهم أبوبكر

شولابيرو، يعرف المكان بربوة السنة. فهكذا أصبحت قرية إلورن مدينة [٤].

وبعد أن تمكن أفنحا في مدينة إلورن بدأ محاولة استرجاع منصبه المسلوب منه في القيادة الحربية، وتمنى أن يؤلف جيشا قويا لينتقم من ملك مملكة يوربا الذي أهدر دمه على حساب الوطن، وما زال على هذه الحالة حتى سمع خبر شيخ يدعى صالح بن محمد بن جنتا، كان يجول بمدن يوربا بقصد نشر الدعوة الإسلامية، وكان مجاب الدعاء. طالبه أفنجا أن يستقر في إلورن، فنزل الشيخ عند إخوانه الفلانيين سنة ١٢٢٦هـ .لقي الشيخ من المسلمين بالمدينة حفاوة بالغة، ثم انخرط أكثرهم فى سلك تلاميذه، خصوصا أهل ربوة السنة. ثم نزل إليه أهل (أَبَجِ)، وهم من البرابرة، وتمسكوا بذيوله واستفادوا بعلمه [٥]. وهكذا أصبح الشيخ زعيما للمسلمين، ولقبوه بـ "عالم".

استعان أفنجا بالشيخ على أهل (ويو) في الهجوم والغارات المتكررة على إلورن التى تشنها المدن المجاورة عليها. جهز له الشيخ جيشاً تألف من تلاميذه وإخوانه المسلمين وجيوش أفنجا، فتم بإذن الله تخريب (أويولي) القديمة عاصمة مملكة يوربا، وإيقاف الغارات على المدينة. وعندئذٍ طلبوا منه أن يكون أميراً للمدينة فرفض بدعوى أنَّه داع ومعلم[٦]. وبعد وفاته بايعت الجماعة ابنه الأكبر عبد السلام ليكون أميرا لإلورن وما حولها، فقامت الدولة الإسلامية في مدينة إلورن وذلك عام ١٢٣٦ هـ.

ولإرساء قواعد الدولة الجديدة استوفد الأمير عبد السلام العلماء من شمال البلاد ليكونوا مدرسين، وقضاة، ووزراء، وكتّاب دواوين. فتوالت هجرة المسلمين من جميع الأنحاء المجاورة للانضواء تحت الإمارة الإسلامية الجديدة. فأصبحت المدينة كما وصفها الشيخ آدم عبد الله الإلوري:

حصنا منيعا لصوت القرآن، ومعقلا أمينا لدعوة الإسلام، فظهرت بها منارة عالية يشع منها ضوء الإيمان إلى كافة الأنحاء والأرجاء، وبالتالي تمركزت بها الثقافة العربية الإسلامية حيث استقدم إليها أمراؤها العلماء والفقهاء من بلاد هوسا ونوفي وغيرها، وأسسوا بها الكليات العالية لجميع فنون الفقه والأدب واللغة العربية والشريعة الإسلامية وتخرج منها فحول وجهابذة نشروا الثقافة الإسلامية في بلاد يوربا وكافحوا فيها الأمية والجهالة(٧).

اغتاظ أفنجا وجماعته من الكفّار من هذه الأوضاع، ونشب بينهم وبين الأمير وجماعته من المسلمين مناوشات فاستنجد أفنجا ببلدان يوربا المجاورة على المسلمين، ولكن النجدة لم تصل قبل انهزامه ومات مقتولا. فألف الكفار اليوربا‌ويون جيوشا من حوالى أربعين مدينة وأقبلوا إلى إلورن ليقضوا على الدولة الإسلامية فيها، فبعث الأمير عبد السلام إلى إمارة صوكوتو لطلب اللواء والمدد بالجيش من أمير المسلمين فيها، فأستجاب عن طريق أمير غوند الأمير خليل عبد الله. فالتقى الجمعان وانهزم الكفار. وعلى أثر ذلك قام الجهاد الإسلامي ضد الكفار في بلاد يوربا فبدأت

الفتوحات الإسلامية تزداد بتقدم الأيام والأزمنة، فتوسعت رقعة إمارة إلورن إلى أن بلغت ما بلغت قبل مجيء المستعمرين الذين أوقفوها فضعفت شوكتها. ولكن لا تزال الإمارة قائمة حتى وقت كتابة هذه السطور. والتعليم العربي فيها يتطور بشكل عجيب يعترف به المسلمون في بلاد يوربا كافة. وقد اعتلى عرش الإمارة أحد عشر أميراً وهم:- عبد السلام بن صالح، وشئث بن صالح، وزبير بن عبد السلام، وعلي بن شئث، وعبد السلام بن زبير ماما، وسليمان بن علي، وعبد القادر، وذو القرنين، وعبد القادر، وإبراهيم بن ذي القرنين.

القسم الثاني: الأدب العربي في إمارة إلورن الإسلامية:

مر الأدب العربي في إمارة إلورن بأطوار مختلفة وأحوال شتى حتى بلغ أوج مجده. والحوادث السياسية المتغيرة عامل كبير لنشأته وتطوره. وعلى ذلك فيمكن تقسيم العصور أو العهود التي مر عليها الأدب العربي في إمارة إلورن على أربعة أقسام بحسب ما يأتي:

الأول: عصر ما قبل الجهاد

الثاني: عصر الجهاد الإسلامي

الثالث: عصر الاستعمار

الرابع: عصر الاستقلال

الأول: عصر ما قبل الجهاد

بدأ عصر ما قبل الجهاد بدخول الإسلام إلى مدينة إلورن وانتهى بقيام الدولة الإسلامية فيها عام ١٢٣٦هـ. يصعب تحديد وقت دخول الإسلام إلى مدينة إلورن بالضبط، ولكن الثابت أن الشيخ عالم عند نزوله فيها سنة ١٢٢٦ أدرك المسلمين فيها، منهم علماء ربوة السنة الذين قد كانوا في إلورن حوالى ثلاثين سنة قبل مجيء الشيخ عالم، وكانوا على علم بجزء من تفسير الجلالين وأخذوا النصف الباقي عنده[٨] هذا، وقد علمنا أنَّ الإسلام يأخذ معه اللغة العربية إلى حيث ما يتجه ولم تكن الحال متخلفة في مدينة إلورن وقتئذ، فمن المحتمل الكبير إذن، أن يكون تعليم اللغة العربية لأداء فرائض الدين الإسلامي مستمرا فيها. والذى يتعلم نصف تفسير الجلالين أو درّس نصفه لا شك أنه يستطيع التعبير عن ما يجيش في صدره بالعربية ولو كانت ركيكة، فضلاً عن أنَّ

هناك بعض العلماء هاجروا إلى إلورن في وقت الشيخ عالم فمنهم الشيخ بِشاني الذي قيل إنه نازع عبد السلام في الإمارة في أول الأمر، والشيخ أبو بكر الفلاني الملوي، والشيخ محمد إساليكوتو الفلاني، والشيخ مالك، وأولوفادي رئيس البقاريين، والشيخ أحمد باركي وعمر يزو [٩].

ومع وجود علماء كثيرين في هذه المدة لكن لم نعثر على نتاجاتهم في الأدب. ولعلَّ السبب في ذلك يرجع أولاً إلى ندرة الأوراق إذ كانوا يقرؤون القرآن مكتوباً على الألواح ليحفظوه على ضوء الأحطاب في القرى، وعلى ضوء القناديل الزيتية في المدن وكذلك كان حال التعليم. وإذا وجد الكتاب فالطالب يحصل على نسخة منه عند شيخه بشق النفس لينسخها، فالأوراق القليلة الموجودة يستخدمونها لنسخ الكتب المقررة والقرآن. وثانياً، أنَّ الأرضة قد أتلفت أكثر إنتاجاتهم القليلة مما منعها أن تصل إلينا[١٠]. وثالثاً، أكثر هؤلاء العلماء يجمعون بين التعلم والتعليم واكتساب المعيشة بالحرفة والأعمال اليدوية مثل نسج الثياب والوشي على القميص أو على البرانس. ومنهم خطاطون يكتسبون المعيشة بكتابة المصحف وكتب العلوم للراغبين فيها[١١] ومنهم من اشتغل بالقضاء. ومن يعيش في مثل هذه البيئة والحالة قلّما يجد وقتا كافيا للتفرغ للابتكار الأدبي. ولعله لو كانت البيئة عربية لتناقل لنا الرواة أشعارهم وخطبهم شفهيا كما كان الأمر في العصر الجاهلي عند العرب.

فالعمل الأدبي الوحيد المعثور عليه كان قصيدة نسبت إلى الشيخ عالم بن جنتا وشكّك الإلوري صحة نسبتها إليه لركاكة القصيدة وضعف تأليفها بل زعم أنها لبعض الطبقة الأولى من علماء مدينة إلورن، لأنها مشهورة لدى جميع طلبة العلم فى المدينة وفي كل مدينة من بلاد يوربا[١٢].

فالقصيدة يائية في واحد وعشرين بيتا. بدأت بالنصيحة لأخ يعرّف له الأولياء الذين هم أولى بقبول قولهم والاقتداء بهم، ثم مدح الشيخ عثمان بن فودي. نختار منها ما يأتي:

خذ بكلام العالـمين يا أخي ** العاملين بسنة لا من ريا

شيخ الشيوخ عالم من أولــيا ** ومجدد الدين بحق ناديا

من يطلب الدين وعلما نافعا ** فليلتزم شيخا أمينا راويا

متعبدًا متــذكرًا متـــذللا ** متضرعا متخاشعا متراضيا

إلى أن ختم القصيدة بالدعاء بالمغفرة من الله قائلا:

يا رب أدعوك بأنك خالقي ** أنت اللطيف المستجيب داعيا

أنت السميع والعليم بخلقه ** لا رب غيرك واحدا لا ثانيا[١٣].

ولا شك أن هذه القصيدة نابعة من ذات مسلم مفعم بتعاليم الإسلام وثقافته، ومع قلة نصيبها من الجودة، فإنَّها تعكس حب علمائنا للغة العربية وآدابها، وتعبر عن مستواهم اللغوي الذى لما كان لهم أن يكتسبوه لولا جهودهم و لكل مجتهد نصيب.

ثانياً: عصر الجهاد الإسلامي

بدأ هذا العصر من قيام الدولة الإسلامية في إمارة إلورن وذلك بمبايعة عبد السلام أميرا للإمارة عام ١٢٣٦هـ وانتهى بسقوط الإمارة تحت أقدام الاستعمار عام ١٩٠٠م. فمن الكتّاب من سمى هذا العصر بالعصر الإسلامي مثل الدكتور عثمان الثقافي عند تقسيمه للعصور التى مر عليها الأدب العربي في إمارة إلورن[١٤]، ولكننا نرى أنَّ هذه التسمية بالمفهوم المعاكس يجعل العصور الباقية غير إسلامية، ولم يكن هناك عصر

غير إسلامي في إمارة إلورن بالنسبة للأدب العربي فيها. لذلك نرى أنَّ أنسب تسمية للعصر هو عصر الجهاد، لأنَّ أبرز معالم العصر هو الجهاد في سبيل الإسلام وتوطيد الدولة الإسلامية في الإمارة وتوسيع رقعتها عن طريق السلم والحرب.

وسبق أن ذكرنا أنَّ عبد السلام أول أمير لإلورن، قد استوفد العلماء الذين هم الأدباء من بلاد هوسا وبلاد نوفي وغيرها إلى إمارة إلورن. واستعان بهم في تنظيم شؤون الدولة ونشر تعاليم الإسلام، ودراساته، وتشغيل مناصب القضاء وقيادة الحروب والوزارة، وكتابة الخراج التي تحتاج إليها الدولة الجديدة. وقد قام هؤلاء العلماء بهذه الأعمال مستخدمين اللغة العربية. وسار على منواله الأمراء من بعده لاسيَّما الأمير شئث الذي تولى العرش بعده وكان أكثر من سَلَفه حباً للعلم والعلماء، وقيل: إنَّه وجه ابنيه محمود وأحمد توجيهاً علمياً حتى نبغا نبوغاً باهراً ونجب من ورائهم أبناؤهم محمد الذي حفظ القرآن عن ظهر قلب، وأحمد الذي نبغ في العلم وله قصائد منها ما شكر الله بها على ما أسبغ عليه وعلى جده ووالده وإخوانه من نعم العلم والمعرفة وفي ذلك يقول:

ألا فاشكروا نعماء ربي إلهنا ** لوالدنا محمود أهل الدراية

لأن ابنه قبلي محمد اسمه ** حفيظ كتاب الله بين الجماعة

يجول به جولان بحري في اللجج ** ويخرج من فيه بغير اللحونة

كفي ذا له إذ ليس فينا نظيره ** بعلم القرآن حاذق فارع قولتى

واسم أخيه أحمد ذو جهالة ** يخوض فنون العلم نيل الهداية

وتاليه عثمان عمر كان بعده ** وأنهم نجمان ينفى الدجية

وبعد هما سعد وكان مؤدبا ** لأولادنا القرآن في كل حالة

وتاليه إبراهيم صـــاح وكـــلنا ** فقيه بلا فـــخر ولا بإبـــانة

وقد صغت هذا الشعر شكراً لربنا ** لوالدنا محمود بـين الذرية

ذرية عالم ابن جنتا الذي عـــلا ** بعلم وتقوي الله بين البرية[١٥]

إنَّ الأبيات تعبر عن مقدرة الشاعر اللغوية. وهي واضحة فى معناها الذى هو شكر الله على نعمه الكثيرة عليه وعلى إخوانه، ولا يؤاخذ الشاعر إلَّا في هنات وهي زيادة التاء في(اللحونة)و(أنَّهم نجمان ينفى الدجية) والصواب:(وأنَّهم نجوم تنفى الدجية) أو(أنَّهما نجمان ينفيان الدجية) وبعض الأبيات القلقة فى أوزانها. أمَّا قوله:(وقد صغت هذا الشعر شكرا لربنا) ففيه استعارة جميلة لأنَّه عالج كلمات شعره ونظمها مثلما يعالج الصائغ الفضة والذهب ليعمل منهما حلىً وأوانٍ جميلة.

فمن جراء هذا الاستيفاد نزل العلماء والأدباء من كل صوب إلى إمارة إلورن. فمنهم من هاجروا إليها وقضوا حياتهم فيها ولا يزال فيها أحفادهم أمثال: أبو بكر بوبي، وعبد الله رفوغو نكراتو، وإبراهيم قبر العلوم، وأبو بكر إساليكوتو وغيرهم. ومنهم من جاءوا للتعليم في إلورن ثم عادوا إلى أوطانهم أمثال: محمد التاكتي بن أبي بكر النفاوي المعروف بوزير بداً، ومنهم من جاءوا للتفقه في الدين ثم رجعوا إلى أهليهم بعد النبوغ، ومن هؤلاء أبي بكر بن صاحب الكرسي من مدينة إبادن. ومنهم أيضا من نشأ في الإمارة وتعلم فيها حتى النبوغ ثم خرج لنشر العلوم ثم عاد إليها قبل وفاته أمثال: سلمان أكي مفتي الدين، ومنهم من أدركته منيته خارج الإمارة إذ ينشر العلم والإسلام أمثال محمد الجامع اللبيب الملقب بتاج الأدب. وكان الأمراء يكرمون نزول هؤلاء العلماء ويشجعونهم بالهبات أحيانا. هكذا اجتمع فى إلورن خلق كبير من العلماء والتلاميذ من أجناس مختلفة وبنوا صرحا علميا عاليا، وجعلوا الإمارة منبع الإشعاع العلمي والديني

والحضاري فى جنوب غرب نيجيريا كافة.

وقد قلّت الإنتاجات الأدبية في هذا العصر مع كثرة العلماء إذا ما ماوازنها بما في العصور اللاحقة، ولكنها أكثر من انتاجات العصر السابق له، ويرجع السبب في ذلك إلى ما ذكرنا أعلاه. وفى الشعر أدركنا أنَّهم طرقوا الأغراض الآتية: الشعر السياسي، والمدح، والرثاء، وغيرها.

الشعر السياسي: كان الشعر السياسي في إمارة إلورن يقرض لوصف حروب المسلمين مع الكفار، وتهنئة الأمراء على الانتصار في هذه الحروب، كما يقرض أحيانا لمدح أمير أو أمراء. ولضيق نطاق هذا البحث نأخذ قصيدة محمد بن محمد الثاني بن بوبي في مدح الأمير على بن شئت عند انتصار جيش المسلمين على أحلاف جيوش الكفار في مدينة أوفا بعد أن دار القتال بين الفريقين لمدة سبعة عشر عاما، وتم الانتصار للمسلمين أخيراً عام ١٩٨٩م-١٢٠٨هـ ، يقول فيها:

الحمد لله مهدي هذه النعم ** على جماعة شيخ عالم علم

ثم الصلاة على خير الورى وعلي ** آل وصحب وتابعهم ذوي الحكم

لما تحزب أهل الكفر كلهم ** وأهل بادن[١٦]أباد الله باسمهم

وأهل أوفا لقد فاءوا بنقضهم ** عهد الأمانة في فعل وفي كلم

قال الأمير فإن الحول ليس لنا ** إلا إليك إلهي أنت ذو كرم

وفوض الأمر للرحمن حينئذ ** فقد أتاه فتوحا في حصونهم

قد أنجز الله وعداً كان واعدنا ** تفرقوا ثم خلو جل مالهم

نساؤهم مع أولاد صـــغارهم ** صاروا أرقاء في ملك وفي خـــدم

بقدرة الله رب العـرش خـالقنا ** هو الذي يقتضي ما شاء لا بكم

وزاده الله نصـراً في بقيتـــهم ** حتى يصيروا إلى خـزي وفي نقـم

نرى فيما سبق كيف صوّر الشاعر انتصار المسلمين على الكفار في المعركة بأسلوب رائع، وقد نسب ذلك النصر إلى الله المنعم المتفضل، ونرى أنَّ ما أعجبه من الأمير هو تفويض الأمر إلى الله، كما نرى أنَّ الشاعر استمد معانيه من القرآن والسنة، ويلاحظ القارئ الجناس غير التام في (أهل إبادن أباد الله) وإبادن أكبر مدينة بجنوب غرب نيجيريا وفى غرب إفريقيا قاطبة، وهى مدينة تاريخية فى بلاد يوربا، أباد الله كفارهم لتحلفهم وتحزبهم مع أعداء المسلمين. والجناس الآخر فى (وأهل أوفا لقد فاءوا) وأوفا مدينة يورباوية فى ولاية كوارا النيجيرية دارت حرب طاحنة بينها وبين مدينة إلورن إبان حكم الأمير الرابع علي بن شئث. وفاءوا، أي: رجعوا ومنه قوله تعالى: " حتى تفيئ إلى أمر الله" أي: ترجع.(الحجرات، الآية ٩) وبذلك تعد القصيدة نموذجا موفقا للأدب الإسلامي. وفي بقية أبيات القصيدة دعا الشاعر إلى تقديم الشكر لله كما سأل الله طول العمر للأمير ليدوم على الإسلام وفي ذلك يقول:

إن تشكروا نعمة الله ينصركم ** فلنشـــكر الله جـــهراً ثم في كـتم

ونسأل الله ملـــكا للأمير لنا ** مع طول عمر على الإسلام في أمم

ونسأل الله توفيقا لسنة من ** أحيا الظـــلام بموقفه على قـــدم

ثم شرع في توصية مسلمي الإمارة بالسمع والطاعة للأمير، ومبايعته على الدين لما في ذلك من تقدم الإسلام ومصلحة المسلمين، وذلك في قوله:

يا قوم سمعا وطوعا للأمير لنا ** كي تثبتوا في رضي الرحمن والذمم

إن الأمير عليا وهو مقصـدنا ** لأنـــه بيـــده فتح مصـــــــرهم

فبايعوه على ديـــن وطاعـته ** فيما بدا صلحا للـــدين في همم[١٧]

وختم القصيدة بالحمد لله والصلاة على النبي.فهذه القصيدة سياسية، ولكنها تعرضت للوصف والمدح والتوصية والدعاء،كما رأينا، وقد اصطبغت بصبغة إسلامية خالصة.

مدح الرسول

يمدح أهل الإمارة الرسول لحبهم الخالص له اقتداء بكبار الشعراء في العالم الإسلامي الذين نالوا الشهرة في مدح الرسول(صلى الله عليه وسلم) أمثال البوصيري صاحب البردة. أمَّا الذي وصل إلينا من مدح الرسول في هذا العصر فهو تخميس قام به محمد بن شئت على قصيدة الشيخ عثمان بن فودي في مدح النبي عام ١٢٧٥هـ نذكر منها ما يأتي:

إني خليط بالذنوب مبـــرقعا ** ولذلك صرت عن الزيارة ممـنعا

عيناي دامت بالتشوق مدمعا ** هل لي مسيرة نحو طيبة مسرعا

لأزور قبر الهاشمي محمد

لما بدت أنواره بفنـــائها ** وتلألأت أقطارها بلمـــــوعها

وتبادر الحجـــاج لثم ترابها ** لما فشا ريـاه في أكنـــــافها

وتكمش الحجاج نحو محمد

خلفت بالذنب الثقيل مثقلا ** وجلست بالقلب الحزين مكـــــبلا

كيف النهوض للضعيف مكسلا ** غودرت لنهمل الدموع مؤبلا

شوقا إلى هذا النبي محمد

وقد كانت القصيدة في ثلاثة وستين تخميسا على عدد أبيات القصيدة الأصلية، وقد ذكر في البيت الأخير أنَّه جعل عددها عدد السنين التى قضاها الرسول وكان آخرها قوله:

ولشوق أحمد هاشمي نظمتـها ** وبحمد ربي ذي العلا أتممتها

وقبول ربي ذي الجلال رجوتها ** وبعون رب العالمين حتمتها

وجعلت عدتها كسن محمد[١٨]

والقصيدة الأصلية للشيخ عثمان بن فودي في مدح الرسول- كما سبق- ومطلعها:

هل لى مسيرة نحو طيبة مسرعا ** لأزور قبر الهـــاشمي محـــمد

وهـى مـن أشـهر القصـائد العربيـة فـي الأوسـاط العلميـة وأكثرهـا انتشـاراً عنـد علمائنـا النيجيريين، فقد جعلوا تخميسها ميداناً فسيحاً يتبارى في مضماره الشعراء لإبداعاتهم الشعرية ولإثبات قدرتهم على التمسك بناصية اللغة، لأنَّ التخميس يتطلب كماً هائلا من الذخيرة اللغوية.

الشعر الشعوبي

الشعر الشعوبي هو شعر ينظمه الشاعر افتخارا بشعبه وحطّا من قدر شعب آخر. أو هو شعر نظم رداً على طعن شعب في عرض شعب الشاعر نتيجة للتفاخر بين شعوب مختلفة. ظهر هذا الغرض أول مرة في العصر الأموي وازدهر فى العصر العباسي(١٩).

وقد عثرنا على قطعة من قصائدهم فى هذا الغرض في ذلك العصر، وهي لمحمد التاكتي بن أبى بكر النفاوي نظمها ردا على إسحاق أحد العلماء الذين يقدحون في عرض النفاويين، قال:

إن النفاويين قوم لا نظير لهم ** عند الفصاحة في الأقوال والكرم

أنهم عرب في أرض مغـربنا ** فلا نظير لهم في ســـائر العجم

فإنهم أمناء القـــوم في عمل ** إن النجابة فيهم غير منعدم

يا ويح شخص أتي في الفضل يحسدهم ** إن المحاسد لا يأتي على اللئم(٢٠)

فمن خصائص هذا الغرض المبالغة، لذلك نرى الشاعر يبالغ في قوله: إنَّ النفاويين لا نظير لهم بين جميع الأعاجم في الفصاحة والكرم، ويرى كما يرى جميع الشعوب التي اعتنقت الإسلام في نيجيريا أنَّهم نزحوا من بلاد العرب، لحبهم الشديد للإسلام الذى رفع شأن العرب في العالم.

التراسل بالشعر

ومن الأغراض التى أُستخدم الشعر لتحقيقها في هذه الآونة التراسل بالشعر فيما بين العلماء. فقد يتقدم هذا النوع من الشعر النثر أو يكون مجرد شعر، ومن أمثلة ذلك وثيقة

كتبها محمد بن أحمد البيغوري إلى الشيخ أبى بكر الهوساوي يطلب منه كتاب شرح المختصر يقول بعد مقدمة نثرية:

فمني تحيات مـــزينة الحـــلا ** تروح كالمسك المنم على الـــولا

لمن هو كالمصباح ضاء بليـلة ** ليأوى إليه النـــاس طرا تسـللا

وذا هو جدي أو أبي أو أخو أبي ** أبو بكر فوق القرون الذي حلا

هو العالم الأستاذ ناو بمن مضي ** من العلماء السودان مشتهر العلا

إلى أن قال:

أيا شيخ شيخ الكل كن لي ناصحا ** ومنصح قلبي بالذي كان آملا

وكن موفيا لي مثل ما كنت طامـعا ** فهيج علي القول والعون سهـــلا

وأنت أمين والحفـــاوة أثبتت ** لديك سخيف الجنب لم تك من قلا

فوكلت أمري كله بك سيـــدي ** فلا تتركني كاللغي باللغى خلا [٢١]

والجدير بالذكر أنَّ ناظم هذه القصيدة من المخضرمين، أي: أنَّه عاش جزء من حياته في عصر الجهاد وجزء منها في عصر الاستعمار الإنجليزي.وقد شبه تحياته بالمسك لطيبها وهى تفوح بالولاء والحب لشيخه أبي بكر الذى يفيئ دياجى الحياة نوراً كالمصباح ويفوق القرون رفعة وعلاء.

الرثاء

فشعر الرثاء المعثور عليه في هذا العصر كان في رثاء العلماء. ومن أمثلة ذلك رثاء أحمد يَنْما بن محمد لأستاذه صالح الذي جاء من إبادن ليتلقي العلم في إلورن. والقصيدة في سبعة وعشرين بيتا، استهلها بإظهار التحسر من فقد أستاذه ففي ذلك يقول:

شكونا إلى الرحمن ما كان معلنا ** هموما لنا من بعد فقد مـلاذنا

هو ابن بدر الدين مأوي شيوخنا ** نهار الثلاثا المقتضي لهمومـنا

وجـــدنا لمحو العلم مـــنا لأنه ** فصيح عديم المثل في علمائنا

له العقل ثم العلم ثم بشـــاشة ** ورفق وتكثير العطاء بلا عــنا

ثم انتقل إلى الدعاء له بالمغفرة ودخول الجنة ففي ذلك قال:

كفي المدح وادع الله ربك ربنا ** ليغفر له في ذنبه بنبيـــــنا

وتجاوز إلهي سيئاته ونقه ** بماء وثلج لا تضيع دعاءنا

وادخله ربي في جنانك أصلحن ** أمورًا له من بعد وهو ملاذنا

وختم القصيدة بذكره اسمه والصلاة علي النبي محمد:

ومن قال من في الناس للشعر ينظم ** فأحمدنا ابن الواعظ في بلادنا

تلميذه بـــين التلاميذ كلـــهم ** صغير قليل العلم بالجهل معلنا

صـلاة وتسليم علي أبطـــــحينا ** محمدنا منج الأنام بلا عنا[٢٢]

التحريض

هذا اللون من الشعر يقصد به تنبيه الأمراء وردّهم من الغواية والطغيان وتحريض العلماء إلى القيام بواجبهم الدعوي من غير المبالاة بصولة الأمراء وتهديداتهم. وخير مثال لهذا النوع من الشعر قول بدماصي بن موسى الأَبَجي، أول من اخترع البحور اليورباوية للأشعار الوعظية في الإمارة وفي بلاد يوربا قاطبة[٢٣]، نظم مقطوعة تشبه تعريب شعر يوربا عندما نهى الأمير علي بن شئت العلماء من القيام بالوعظ والإرشاد علنا، وهدد من عصى أمره بالعذاب. فقام الشاعر يومها ينتقل من بيت عالم إلى الآخر يخرجهم معه وينشد قائلا:

سكوتنا هكذا بلا نصيحة ** كمكثنا في الدجى بلا إضاءة

وتركنا الجهلا علي الضلالة ** أهكذا ينبغي يا أميرنا

ولتكن منكم أمة دعاة ** قاله ربّنا لدعاتنا

ثابت أبدً في كتابنا ** انظروا قرآنكم يأميرنا

لا يخفى ما في هذه المقطوعة من ضعف التأليف والركاكة في الأسلوب، فهي كما قلنا سابقا شعرا يوربوي معرّب، وليست قصيدة عربية.

النثر في عصر الجهاد

لم نعثر على الانتاجات النثرية في هذا العصر إلّا الرسائل الديوانية والإخوانية وبعض قطعات من تدوين العلم وبيانه، إذ قد ضاع أكثرها للأسباب المذكورة سابقا. ومن المعثور عليه منها رسالة كتبها محمد بن أحمد البيغوري يطلب بها من الشيخ بوبي أن يقرضه كتاب شرح مختصر الخليل المسمى "فتح الجليل"، والرسالة منثورة ومنظومة معا،

وقد ذكرنا النظوم منها عند عرض التراسل بالشعر وهاك نص النثر :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعل العلم لساناً بين حبيبين إذا كانا بعيدين. وصلى الله على جد السبطين الحسن والحسين الذي ساد الأنام وهدم الأصنام ووصل الأرحام وكشف الظلام ونفى الأوهام، وأبقى الإسلام، وأجل الأفهام، وعلى آله الطاهرين وأصحابه الفائقين، ومن تلاهم من التابعين والسادات المتقين، والأئمة الأربعة المجتهدين والعلماء العاملين ومقلدي تلك الجملة إلى يوم الدين. أمَّا بعد: فمن التلميذ محمد بن أحمد إلى فقيهه وأستاذه وأمانته وعماده أبي بكر طول الله عمره. تحية وسلام عام ورضى وإكرام وسؤال عن عافيته وعافية من معه.

فسبب الوثيقة إليه إعلام له بأنَّي مازلت أبتغي شرح المختصر المسمي بفتح الجليل حتى سمعت ركزه إليه هممت إليه به لأن أكتب ولو جزئه وإن وجدت يكون بحمد الله الذي ملكه إياه وأذن له أن يعيرني إياه، والله أسأل أن يطول عمره ويبرك بالحال ويمده بالعلم والمال ويحفظه عن القيل والقال، ويشفع به محمدا في دار المآل ويدخله روض الخلد الحال، والسلام[٢٤].

نرى أنَّ أسلوب صاحب هذه الرسالة سهل في الألفاظ والمعاني، وآثر الألفاظ على المعاني كما اتصفت الرسالة بالسجع وكانت مثالاً صالحاً للأدب الإسلامي.

ونأخذ مثالاً على المؤلفات المدونة في العلوم من النكتة النحوية لمحمد بلغوري أيضاً التي سلك فيها طريق الخيال الدرامي لتمام التأثير والتوضيح إذ قال:

الإعراب رجل اشترى أمة وهي الكلمة مع ابنها وهو الحرف فتسري بها فولدت منه ولدين هما الاسم والفعل فمات الإعراب عن أربعة أحوال: الرفع والنصب والجر والجزم، فقسما الميراث: أخذ الاسم الرفع ونازعه الفعل وأخذ قسطا منه، ثم أخذ الاسم النصب ونازعه

الفعل أيضا وأخذ منه قسطا، وانفرد الاسم بالجر والفعل انفرد بالجزم ولم يتنازعا فيهما، وكان الأمر بينهما كذلك فبقي الحرف فلم يرث ولم يورث بل صار حرا لأنه أخوهما للأم ولم يبق رفيقا لأحد. لذلك ترى الرفع والنصب يدخلان على الاسم والفعل: إن زيدا قائم. والحبيب يزعم أن زيدا لن يقوم[٢٥].

ثالثاً: عصر الاستعمار:

بدأ هذا العصر بدخول أول مندوب انجليزي اسمه ديفيد كانبغا إمارة إلورن وذلك في يونيو عام ١٩٠٠م وانتهى باستقلال نيجيريا عام ١٩٦٠م . فعندما وطئت قدم المستعمرين أرض نيجيريا أضعفوا سلطة الملوك والأمراء في البلاد. وبينما يسوسون الناس بنظام الحكم المباشر في جنوب نيجيريا كانوا يتبعون سياسة الحكم غير المباشر في شمالها بما فيها إمارة إلورن. هذا يعني أنَّ أمراء إلورن لا يزالون يتمتعون ببعض السلطة ولكنهم غالبا ما يأخذون الإذن من مندوب الحكومة الانجليزية في إلورن وينفّذون أوامره على أهل البلاد.

وقد تطور الأدب العربي شعره ونثره في هذا العصر بشكل عجيب إذا قارنّاه بما في العصرين السالفين له. ولعلَّ السبب في ذلك يرجع إلى ما قاله أحد أعلام هذا العصر في نيجيريا الشيخ آدم عبد الله الإلوري بأنَّ الأدب يزدهر إذا استقل من نير الملوك والقبائل، حيث يدعو إلى القيام به العاطفة الصادقة دون ما رغبة ولا رهبة[٢٦]. وقد تغيرت البيئة وبدأت الثقافة الانجليزية تسابق الثقافة العربية، اكتسب بعض العلماء الثقافة الإنجليزية أمثال ابن إكوكورو.وطفق يتصل بعض علماء الإمارة بالعرب في لاغوس، وبعضهم سافر إلى الدول العربية لقضاء الحج وللتعلم والتثقف أمثال وزير بدا وآدم عبد الله الإلوري. فأصبحت الكتب العربية المطبوعة تجد طريقها إلى الإمارة في

أواخر هذا العصر، كما يحصل العلماء وطلاب العلم على الكتب الأدبية الحديثة. وبديهي أن يؤثر هذا وذلك في تكوين الأدباء وانتاجاتهم.

الشعر في عصر الاستعمار:

كثر الشعر في هذا العصر بالموازنة بما كان عليه في العصرين السالفين، وتعددت أغراضها ورصن أسلوبه. فالأغراض التي طرقها أدباء العصر لا يزال معظمها تقليديا، وتشتمل علي ما يأتي:

الشعر السياسي، والمدح، والرثاء، والزهد، والهجاء، والشكوى والحنين إلى الوطن، والتراسل، والتعليم والإرشاد، والتسابق بالشعر.

أمَّا الشعر السياسي فمن مقاصده وصف الأوضاع السياسية السيئة، وخير نموذج لذلك شعر أحمد (يَنْمَا) الذي جعله مقدمة لقصيدة مدح بها الأمير شعيب عند توليته الإمارة بعد وفاة الأمير سليمان سنة ١٩١٥م، يشكو الشاعر فيها دهره ويتبرم مما يقوم به الإنكليز حينذاك بأمر أهالى المدينة ببناء بعض المبانى أو هدمها لتوسعة الطرق المؤدية إلى أماكنهم، وأمرهم بتنظيف المدينة باستمرار وبناء الكنائف للناس ودفع الجزية. وقد استصعب أحمد يَنْمضا أن يرى مجالات السلاطين السابقين أصبحت مرتعًا للسفلة من الناس لكثرة لغطهم وصياحهم وهم منتشرون فيها كالجراد. يقول:

أعوذ برب العرش من شر دهرنا ** وشر الـــــذين يفعلـون بقـــوة

هم الآمرون بالبـــناء وهـدمه ** وكنس فناء الدار في كل ساعة

جلوسا وراء الحصن صاح بعنوة ** بتقدير ربي قـد رضينا بقـــدرة

وحفر الكنيف والبناء بـــدورها ** وحرث الطريق كل شهر بفتـــنة

وجزية في أيدى المساكين كلهم ** بناء الدوير باطـــلا كل حـالة

وقد هدموا بعض الديار لطرقهم ** أيا عجبًا للآخـــرين بنكـــبة

مجال السلاطين الذين تقدموا ** كجولان غوغاء الجـــراد مصيبة

ثم شرع في تهنئة الأمير الجديد شعيب ومدحه بقوله:

ودع ذا وصل في مدح من صار بيننا ** أمـــيرًا سراج الحي مـــأوي البـرية

هنيـــئا لنا إذ نال منا ولايـــــة ** شعيب المسمي باو معطي العطية

وناب مـــنا من أبيه وجـــــده ** وأجرى بحـــــار الخير بين الرعية

وانشر ريح المسك في أنف كلنا ** وواصـــل كل العـــالمين برحـمة

طلاقـــة وجه زاده الحب بينـنا ** وزيّـــنه خلق مليـــح بفطـــــنة

وذو فاقة صار الغني لسعـــــده ** صبـــور جليل الأصل بين الخليـفة

وألبس عـــريانا وأمـــن خائفا ** وأغـــني فقـــيرا كل يوم وليلـــة

نفي السارقين في البلاد وغيرهم ** ولو كان من أنسـابه في الـــولاية(٢٧)

ثم ذكر آباء الأمير وأجداده الذين تولوا العرش قبله بدءً بالشيخ صالح، فعبد السلام، فشئت، فزبير، ثم علي، ثم ماما، ثم سليمان، إلى أن عاد إلى ممدوحه شعيب. يذكر كل أمير بإنجازاته مما يمكن أن نسميه تاريخا سياسيا. فالقصيدة في ثمانية وأربعين بيتا، وهي رائعة سلسة، ببساطة ألفاظها وبلاغة معانيها كبلاغة الطباق فى البناء والهدم، والفاقة والغنى، وتشبيه الغوغاء أى السفلة من الناس بالجراد لكثرتهم، وتشبيه الأمير

بسراج الحي ومأوى البرية، والإستعارة فى إجراء بحار الخير بين الرعية، ونشر ريح المسك فى أنوف الناس، والمراد بذلك شمول خير الأمير جميع الناس. وكونها ملتزمة بالقيم الإسلامية.

ومن الشعر السياسي –فضلاً عن ما ذكرنا أعلاه– ما هو توصية، وشّح بها أصحابها شعرهم المديحي السياسي وخير نموذج لذلك شعر أحمد بن إكوكورو الذي مدح به أستاذه الحاج محمد البرناوي عندما تولى منصب الوزارة في مدينة (بِدَّا) سنة ١٩٢٢م، يناشده بتعاطى العدل بين المسلمين وإرشادهم إلى ما يقيهم فى الدنيا من الضلال والهلاك، ونصحه بالتحلي بالصبر إذا جفاه الناس جهلا فقد جفى الناس النبي جهلًا قبله، وأن يكون ساقي القوم الذي يشرب بعضهم ليكون محموداً فى عاقبة أمره، وأنه قد تولّى الوزارة ليأمر وينهى فيفوز المطيع ويتحسر العاصي، فعليه أن يكون حذراً من زخارف الدنيا التي تقبل على الناس صباحاً وتدبر عنهم مساءً، ويحذّره من أصحابه المقربين إليه الذين لا يعذرونه ولا يرضون عنه إذا هفا وأخطأ. ويقول بأنَّ ممدوحه قد تولّى الوزارة فلا يجزع لأنَّ الله سيكون فى عونه، وكل ما يراه شديداً وصعباً عليه فهو خفيف لدى رب البريّة، فلا يلتفت إلى الحاسدين الذين يقولون ما لا يفعلون، وهم غاضبون لأنَّ أمنيتهم لم تتحقق فى طلب الوزارة وما كل ما يتمنى المرء يدركه، يقول:

لقومـــك فاعدل يا وزير ودلهم ** إلى ما يقيهم في دنـــاهم من التوي

وكن صابرا إذ ما جفوك بجهلهم ** وسر سيرة المجـــفو أحمد ذي الــوفا

وكن مثل ساقي القوم يشرب بعدهم ** تصر حامدا في الصبح عافية السري

وقد كنت هذا اليوم تنهي وتأمر ** يفـــوز المطيع ثم ويـل لمن عصي

لأنك في كل الأمور مفوض ** بلا نظـــر من كل شيء إذا بــدا

ولكن حـــذار يا وزير بكلها ** وأعمل برب العالمـــين له العـــلا

ولا تغفل الدنيا الدنية أمـــرها ** تقابلنا صبـــحا وتـــدبر في الـمسا

وما عاقل إلا بصير العـواقب ** يصاحبه الـدهر إلى يـــوم الابتلا

وأصحاب هذا الوقت احذر عقوقهم ** لأنهم ليســـوا براضين من هـــفى

أشيخي لا تجزع لأمر الوزارة ** أعانك فيـــها المستجيب لمن دعا

وكل شديد عند ما هاج أمره ** خفيف لـــدي رب البرية ذي العلا

وطيب أرض تخرج النبت رائعا ** بسابس نبت تخرج الأرض إن خـــلا

ومن تبتغي هذى الوزارة عندهم ** وذاك متاح عند مولاي ذي العلا

ولا تلتفت للحـــاسـدين فإنهم ** يقـــولون مالا يفعـــلون بلا بلي

لأنهم منعـــوا وجود المـــآرب ** وما كل من يبغي ينال بما ابتـــغي

وأكرم ربي أن يضـيع دعاء من ** يـــولي له أمرا من أمـــة أحمد[٢٨]

نلمس من هذه القصيدة فضلاً عن الوصية الرشيدة حكمة بالغة سردها الشاعر بأسلوب رائع حكيم تؤثر في النفوس تأثيراً منبعها الجليل القرآن الكريم والسنة النبوية. والقصيدة في خميسين بيتا.

ومن الشعر السياسي في هذا العصر ما نحى منحى التحريض، ونجد ذلك في قصيدة عبد السلام يوسف ألكنلا الأدبي المتوفى عام ١٩٥٢م التي ينهض فيها أبناء البلد إلى محاربة المستعمرين،لأنَّ محاربتهم دين عليهم جميعا لإنهاض بلاده إلى السماء، لأنَّ

خوض الحروب دفاعًا عن الوطن واجب مقدس منوط بأعناق الجميع فى حدود قوانين الحرب التي يجب احترامها. فلابُدَّ من تجنيد الفتية تجنيداً إجباريًا، ولابُدَّ من معرفة خدع الخرب وحيلها التى تؤدي إلى الانتصار والعزة والكرامة. وللحرب عناء لا تكابده إلَّا الأمم الراقية المتقدمة، ولولا العزم والصمود أمام الأبطال المناوئين لما كانت برطانيا المستعمرة عزيزة الجانب تتبوأ أريكة المجد والعلا. يقول:

بلادي لـــها دَيْن عـــلي أداؤه ** بعزم لإنهـــــاض لها لسما العـــلا

ومسألة الحرب تنـــوط بـــنا أيا ** رجال نخوض الحرب حتما لنعتلى

لنا عند ما نرجو ارتقاء إلى العلا ** بسن القـــوانين لحرب علي الجـوى

ونكرم قانونا لحرب الـذي أتي ** بتجنيد إجـــبار عمـوما علي الفتى

أتدري بأن الحذق في الحرب عـزة ** بـه أمـة تعلو بصـــدق على العدى

إذا ما بدا للأمة العز في شـــجا ** عة في الوغي تغدو العظيمة في الملا

وهل أمة في هـــذه دارنا علت ** بغير عناء الحرب بالعـزم والنـــدى

(بريطان) ما زالت على عز مجدها ** بحرب وعزم في الصمـود على الشـجى

ترى عندها أبطال حرب عديدة ** تثور على الأعـــداء إن همهم عدا

بهم قد علت كعب لها فوق غيرها ** وقد بـــوأت أريـــكة المجـــد والعـــلا[٢٩]

وهذه الأبيات مرآت تعكس ثقافة الشاعر العربية الواسعة وتنم عن تملكه لزمام اللغة و وعيه التام لما يجرى حوله من الأحداث، وتعكس أيضاً تأثره بأدب آل فودي(زعماء

الجهاد في شمال نيجيريا في القرن التاسع عشر) ومحاكاته لشعرهم الحماسي الذى يحمل لوائه عبد الله بن فودي.

ومن المدح السياسي ما كان اعترافاً بالجميل للأمراء، كقول أحمد بن أبي بكر إكوكورو، مدح به الأمير عبد القادر علي هدية أهداها إليه سنة ١٩٣٠م والقصيدة في ثمانية عشر بيتا نذكر منها ما يأتي:

منـي إليـك تحيات أمـير لنا ** مع السلام وإكرام كما زانا

وبعد فالمرء مأمور لمنعه ** بشكره ثم ينهي عنه كفرانا

لذا شكرت أمير المؤمنين بما ** أهدي إلى قميصا نسج سودانا

جاء إلى به إدريس مرسله ** صبيحة قبل يوم العيد مضحانا

يأيها ذا الأمير ابن الأمير لنا ** ابن شعيب أمير ذو مزايانا

عبد القدير وهذا الاسم من فطنا ** يعلم بأن اسمه قد طابق الشانا

أنت الذي فقت أقرانا مبارزة ** بالعقل والحلم والأحوال رضوانا

ختم القصيدة بالدعاء لإمارة إلورن وبذكر اسمه قائلا:

يا رب أهل إلورن سد فقرهم **الفقر يحدث بين الناس شنآنا

بخط ناظم در المدح وهو دعي ** بأحمد ابن أبي بكر كما بانا

وقيل: إنَّ الشاعر نظم هذه القصيدة في ارتجال إذ كان رسول الأمير الذي جاء بالقميص بين يديه، فناوله القصيدة بعد نظمها. وهذا دليل قاطع على براعة هؤلاء

الأدباء ونبوغهم مع أنهم عاشوا في بيئة نائية عن بلاد العرب، ولم يأخذوا العلم والأدب مباشرة عن العرب!.

ومن المدح السياسي ما كان ترحيبا للأمراء عند زيارتهم للمدارس أو عند حضورهم حفلة أو مناسبة إسلامية، مثال ذلك ما نظمه الشيخ محمد كمال الدين الأدبي في مدح الأمير عبد القادر أمير إلورن وصاحبه أمير بوشي عند زيارتهما لمدرسته سنة ١٩٤٥م يقول:

بدا قمرا مجد بمـــدرسة العــلا ** أميران صنـــوا الأصل بحر عطية

أمـــير إلورن والأمـــير نزيـله ** أمير ببـوشي ذو حـــما وسريّـة

ومعه ولي العهد صينت حيـاته ** وقاضي القضاة العادل في قضية

كذاك إمام الدين محمود اسمه ** وأستاذ إفرنجـــية ذو مـــــزية

أؤدي إليكم واجب الشكر يا أمي ** ر بوشي على ما أستنا من هدية

وأسال ربي أن يقيكم من الردى ** وسوء مصير وانتيـــاب رزية[٣٠].

الرثاء

أمَّا الرثاء في هذا العصر فمن ملامحه إظهار التحسر على فقدان المرثي ثم تعداد مناقبه وأعماله الصالحة، ثم ذكر شيء من الزهد ثم تعزية أهل المتوفى والاختتام بعد ذلك بالدعاء. نختار قصيدة أحمد بن إكوكورو التي رثى بها الإمام هارون شيخ علماء مدينة إبادن وما حولها عند وفاته عام ١٩٣٥م. يقول فيها:

ألهفي على ما القلب منه تفجـــعا ** وما عارض الأكباد حتى تصدعا

لموت فقـــيه عالم متـــــورع ** صبور صدوق مستجاب إذا دعا

وأعني به شيخ الشيـــوخ ومقتدي ** لدي كل مستهدي إذا الأمر أفزعا

قضي محي هذا الدين في أرض يعربا ** ومجلى ظلام الشك إن كان موقـعا

قضي من يرجي للندي والعلى ومن ** يرجي الأمـاني والمعـــالي به معا

قضي من يرد المشكلات المسائل ** إلى فيجـــلي ما علـيه تطبـــعا

قضي من له الملهوف يفزع لائذًا ** إذا لم يجد من حادث الدهر مفزعا

مجدّ قضي نحبا وقد كان في الورى ** من الغيث أروى أو مـن الليث أروعا

قضي الشيخ هارون الإمام لقومه ** ومرشدهم في جملة الأمـــر أجمعا

ألا إنما الدنـيا ترينا نضـــارها ** إذا ما تريد الأخذ ولت تســـرعا

وبينا غراب البين ينعق فوقـنا ** وكان بنا صوت الفـــراق مروعا

نريد لعمر الشيخ هارون طوله ** وأن ازديـــاد العمر مما يـــنعا

أبي الله إلا أن ينفـــذ حكمه ** وكل إلى تنفيـــذه كان مســرعا

إلى أن قال:

ويغفر رب العرش ذنبـــك إنه ** كريم رحيم مستجاب لمن دعا

قه من عذاب القبر يا رب واعفه ** واجعل له في جنة الخلد موضعا

وثقل له ميـــزانه أنت ربـــنا ** بجـــــاه نبي الله طه مشفـعا

وأصلح له مأمـــــوله بعد مـــــوته ** وذاك الذي يدعو به العبد مرجـــعا

وأهل إبادن نسأل الله ربنا ** لكم أن يقي أصحابكم ما يفزعا

يسددكم إلى الطريقة واضحة ** ويرغم أنف الملحدين لكم معا

ويرثي له الراثي بإرسال دمعه ** بحق له في الحب مدرار أدمـــعا

يريد المجئ للتعـزي بنفسه ** ولكنه قد عاقـــه شغل من رعا

عبيد عبيد الله يسمي أحمد ** هو ابن أبي بكر الفلاني تفرعا[٣١]

فمستوى هذه القصيدة، جودة البلاغة والفصاحة، والجرس الموسيقي، وحسن والتنسيق، وعلو الحكمة، رفيع للغاية،كما رأينا، ويسترعى انتباه القارئ مطلع القصيدة الذى يدل على ذوق الشاعر المرهف المهذّب، فقد بذل غاية الجهد فى إجادته وإتقانه، فأثر حتما فى النفوس. وقد وفّى بشرط النقاد فيه حيث ناسب بين قسميه ولم يكن الشرط الأول أجنبيًّا من الشرط الثاني[٣٢]. وأجاد الشاعر كذلك فى حسن التخلص إذ بدأ رثائه بلطف مع رعاية الملاءمة بين المطلع والتخلص.

وقد شبه المرثي بالغيث بل هو لأروى وبالليث بل هو أروع. ونلاحظ تشبيه التمثيل حيث شبه الدنيا بامرأة مراوغة تلوحّ بنضارها أمام المرء ثم تولّى هاربة مسؤعة إذا مدّ يده لأخذ النضار. فأداة التشبيه محذوفة و وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد.

واللون الثاني من الرثاء الذي عثرنا عليه في هذا العصر هو وصف الراثي حاله عند وفاة المرثي وتعزية نفسه، وهذا اللون نادر في مراثي هذه المنطقة، وقد وجدنا له مثالاً في قصيدة رثى بها الشيخ آدم عبد الله الإلوري بنته خديجة عام ١٩٥٥م. فهاك نصها:

الدهر سدد سهمه ورمـــاني ** فأصابني فى أشـــرف الأركـان

فأصابني في مهجتي وجنــاني ** فسرى انتعاش السم في شرياني

وتوارد الأصحاب مع ترياقهم ** من هاهـــنا وهنا بغير تـــوان

لكنما الترياـــاق لم ينفع معي ** بل زاد منه السم في الطغيان

فالهــم رزء والهموم سمـــومه ** والصبر ترياـــاق علي الأحزان

تلك الرزية في خديجة إبنتي ** كانت معي كالــروح والريحـــان

عاشت معي سبعا من السنوات في ** زهراتها كشقائق النعمان

فإذا ببنتي قد توسدت الثـري ** والجسم منـــها مد للديـــدان

قد كنت أحسب أنني عند البلا ** ثبت الجنان وصاحب الإيمان

حتى بليت بموت بنتي هـــذه ** فتعطل الإحساس من وجــداني

فوجدت صبري لم يكن ثبتا على** هذا المصاب فزاد في النقصان

فعبرت دمعا ساخنا من محجري ** فعلا بكائي والعويل دعــاني

فهناك ناديت الفؤاد مناجيا ** هل في البكاء النفع للثكـــلان

يا عين لا تبكي علي حكم القضا ** فجميعنا في قبضة الرحمان

والناس مختلفون في ويلاتهم ** والكل يشكو من أذي الأزمـــان[٣٣]

تتصف هذه القصيدة بالجودة وحسن الديباج تصور العاطفة الصادقة وتجعل القارئ منفعلاً ومشاركاً للشاعر في إحساسه، ولعلَّ أروع ما في القصيدة مطلعها الذى يعبر فى جلاء عن عمق حزن الشاعر وأساه وشدة وقع المصيبة على نفسه. وتظهر روعة المطلع فى استعارته الجميلة إذ جعل الدهر رامياً لا يطيش سهمه إذا سدده إلى قلب، وسمّى الشاعر القلب (أشرف الأركان) كناية. وهي نموذج صالح للأدب الإسلامي الرفيع في هذه الإمارة.

الزهد

نختار قصيدة الشيخ آدم عبد الله الإلوري التي نظمها عام ١٩٤١م، فى خمسة عشر بيتا لتكون وعظا وإرشادا لبني جنسه. نذكر منها ما تأتي:

نجيء ونمضي واحدا بعد واحد ** ومن قد مضى قد فات في الأرض يوسد

نعيمك في الدنيا نعيم محدد ** وعيشك فيها عيش ما سيفند

إذا كنت في الدنيا تروح وتغتدي ** وتسعي بأشتات المني تتجدد

تذكر بأن الموت يطرأ فجأة ** على غرة ما ليس عندك موعد

دخلت إلى الدنيا بغير إرادة ** سترحل منها عند ما لست تقصد

ألست ترى الأجيال من كل أمة ** تقوم وتكبو في الدهور وتنفد

ومن قال إن الموت غاية أمرنا ** فـــذاك عنيد أو بلـــيد مقيد

فإن وراء الموت دارين فيهما ** عذاب مقيم أو نعيم مسرمد[٣٤]

الهجاء

ظهر الهجاء في الشعر العربي في إمارة إلورن لأول مرة في هذا العصر، وهذا لا يعني أنه لم يكن موجوداً قبل هذا العصر، لكنه كان يضمّن في أشعار الجهاد، إذ يهجو الشاعر الكفار عند مدحه للأمراء. أمَّا استقلاله كغرض وإفراد القصيدة له فلم يكن قبل هذا العصر. ومن النماذج التي عثرنا عليها فى الهجاء قصيدة أحمد بن تميم، التي هجا بها جزارا بسبب ما وقع بينهما من شجار. وقد رتب أبياتها على ترتيب الحروف الهجائية، فمنها قوله:

أعوذ برب الناس من فتنة الفقر ** ومن سوء كل الخلق أو فتنة القبر

بلونا جميع الطامعين من الورى ** ولم يعلموا ربي غنيا عن البشر[٣٥].

الشكوى والحنين إلى الوطن

سبق أن قلنا إن علماء إمارة إلورن انتشروا في بلاد يوربا وبلدان غرب إفريقيا لنشر الإسلام وعلومه، وخرج بعضهم طلباً للعلم داخل البلاد وخارجها، وخرج بعضهم لأداء فريضة الحج وزيارة بلاد العرب للتعلم والتثقف. ولطول الغربة بدؤوا يحنون إلى وطنهم نيجيريا عامة، وإمارة إلورن على وجه الخصوص فجعلوا الشعر ترجمانا لشعورهم وتخفيفا لبلواهم. ومن الذين طرقوا هذا الغرض آدم عبد الله الإلوري الذي قام برحلة علمية إلى مصر والسودان العربي وحج البيت قبل عودته إلى نيجيريا سنة ١٩٤٣م . ففي مصر حنّ إلى وطنه ووصف رحلته وما لقي في طريق تحقيق أمنيته بقصيدة نذكر منها ما يأتي: أيا ذاهبا أرض نيجيريا أبلغن ** سلامي إلى أهلٍ بها متراضيا

وقل لهم أني أعود إليهم ** إذا عسعس الليل ترى الصبح آتيا[٣٦]

الشعر الصوفي

أدّى الصوفيون دورا هاما في نشر اللغة العربية في نيجيريا عامة وفي إمارة إلورن خاصة، فقد قاموا بإنجازات كبيرة في تطوير الأدب العربي في البلاد، وتركوا لنا آثاراً أدبية جليلة تجلت في أشعارهم في مختلف الأغراض خصوصا في مدح الرسول والوعظ والإرشاد والمناجاة والتوسل.

ومن الذين لمعت أسماعهم في هذا المجال الشيخ أبو بكر أبرغدوما الذي توسل بأسماء علماء إلورن، والشيخ محمد إبراهيم النفاوي الذي توسل بالشيخ عبد القادر الجيلاني في قصيدة بلغت واحداً وعشرين بيتا على بحر المتقارب، وفيها يقول:

صل صلاة وسلم ســـــلاما ** إلهي على جد الشيخ الجيلاني

فيارب هب لي دخول الجنان ** بجاه حبيبك الشيخ الجيلاني

وسيله عبد حقـــــير ذليل ** إليك إلهي بالشيخ الجيـــــلاني[٣٧]

شعر الأوابد

هناك لون من الشعر ظهر في هذا العصر يدعى "نظم الأوابد"، وهو نظم غرائب اللغة مجتمعة أو متفرقة في قصيدة على غرار ما نظمه أمثال ابن زيد، وقطرب، وثعلب عند العرب. وقد لا توجد تلك الغرائب في القواميس، بل يصطنعها بعض الشعراء بأنفسهم من أجل التعجيز أو إفحام الخصم. فمن الذين طرقوا هذا الباب من الشعر في هذا العصر الشيخ محمد الجامع اللبيب المعروف بتاج الأدب، وقد نظم بعض الأوابد وتحدى بها خصما له حين التقيا في مدينة إبادن. جاءت القصيدة في خمسة وخمسين بيتا نذكر منها ما يأتي:

عَدِّدْ إِنْشَـادَ الْأَرَبِ ** اَلأَدَبِ الْمُـــــــؤَدَّبِ

عَثْلَجَتِى بِشَجْرَــتِي ** وَالْعُـــودُ عَنْ عَرْحُنَ بِي

عَرْبَدَ مِنْ شَرَاش أَيْ ** وَالشَّكْشُ شَرَّ الْمُؤَدَّبِ[٣٨]

فهذه الأبيات تعكس لنا مدى تأنس الشاعر بالقاموس المحيط الذي حفظه في الصدر. فما أشبه القصيدة بشعر الأصمعي الذي مطلعه:

صوت صفير البلبل ** هيج قلب الثمل.

إلى أن قال:

والعود دندن دندن ** والطبل طبطب طبلي

والرقص أرطب طبطب** والماء شقشقشقلي[٣٩]

الشعر الاجتماعي

هناك أشعار في هذا العصر تصور الحالات الاجتماعية الصالحة منها والفاسدة، فيقدر الشاعر الصالحة منها ويمقت السيئة، بل يدعو أولي الأمر أو العلماء إلى محاربة هذه المفاسد ومنع الناس من ارتكابها. ومن أجود ما قيل في هذا النوع من الشعر شعر الشيخ آدم عبد الله الإلوري الذي قال فيها:

ويح قومي جهلوا معنى الحيا ** وأساءوا فيـــه ختما وابتـــــداء

هكذا قد جهلوا التواضـعا ** وبنـــوه فى سجـــود وانحنـــاء

خلع نعل جعـلوه واجـــبا ** لهم قــبل وصـــول للفـــناء

وانبطاح لهم عند السلام ** وبروك لهم عند اللقاء

في مقام الحق أوجبوا السكوت ** وأباحوا الكذب والقول الهزاء

وغرورا والدعاوى الكاذبة ** صيروها مذهبا للعلماء

علماء قومنا قد ابتلوا ** بطعام وشراب وكساء

قطعت ألسنتهم عند الملوك ** أصبحوا طوعا عبيد الأمراء

كممت أفواههم بالصدقات ** فانبروا يمتدحون الأغنياء

مع هذا يزعمون أنهم ** أفضل الخلق وريثو الأنبياء

كل من خالفهم في هذه ** وصفوه بالذي منه براء

جعلوه كافرا لدينهم ** واستعدّوا لقتال واعتداء(٤٠)

فجملة القول إنَّ الشعر العربي في هذا العصر الاستعماري لا يزال تقليدياً، ولكن أغراضه أكثر مما وجد في العصرين السالفين له وأساليبه أروع وأبلغ مما فيهما . ولا يزال مصطبغا بصبغة إسلامية ملتزمة ومعانيها سهلة رقيقة، إلَّا في نظم الأوابد الذي لمسنا فيه الغرائب، وسلم بقدر كبير من التعقيدات إلَّا أننا لا نزال نلاحظ فيه بعض الخروج عن القواعد العروضية.

النثر في عصر الاستعمار:

أنتج أدباء إمارة إلورن في هذا العصر عددا من فنون النثر وهي: الرسالة، والخطابة، والتأليف، والشروح، والجمع والترتيب.

الرسالة:

أمَّا الرسالة فمنها الديوانية التي تصدر من الأمراء إلى أمراء الممالك المجاورة كالتي كتبها الأمير عبد السلام إلى أمير صوكوتو الإسلامية يطلب منه لواء الجهاد والمدد الجيشي، والتي يكتبها الأمراء إلى بعض العلماء في الإمارة أو إلى قواد الجيوش في الوغى. وأكثر الرسائل الإخوانية كانت بين العلماء ونظرائهم في البلدان المجاورة للإمارة ولكن للأسف الشديد ضاعت هذه الرسائل لعدم الاهتمام بها.

الخطابة:

كان من عادات العلماء في هذا العصر أن يفتتحوا مجالس وعظهم بمقدمات من حمدلة وصلصلة وبعض أدعية، ومنهم من يفتح مجلسه ببعض أبيات شعرية، مثل أحمد سَكَمَ الذي يفتح مجلسه بقول الشاعر:

الله ربي ديننا الإسلام ** محمد نبينا الإمـــــام

وكعبة قبلتنا الكريم ** دليلنا القرآن خذ عظيم

ويوجد في العصر الخطب المنبرية وكانت في أول الأمر عبارة عن ما ورثه العلماء من أسلافهم، أكثرها ما كتبه الشيخ عثمان بن فودي، فكانت منفعة ضائعة حيث لا يفهمها أكثر السامعين لعدم إجادتهم اللغة العربية، إلى أن أسس الشيخ آدم عبد الله الإلوري مدرسة نظامية في أبيأوكوتا سنة ١٩٥٢م ثم نقلها إلى لاغوس سنة ١٩٥٥م، وبدأ يصلي الجمعة في جامعها ويلقي الخطب علي منبره باللغة العربية ارتجالا، ويقوم واحد من تلاميذه بترجمتها إلى لغة يوربا فوريا. وكان يختار موضوعات خطبه من حوادث العصر وقضايا الساعة ومن تعاليم الإسلام، سياسية كانت أو اجتماعية أو دينية أو تربوية أو اقتصادية، فقد تحررت الخطب المنبرية منذئذ من قيود التقليد.

التأليف:

ومن الفنون النثرية التي ساهم فيها العلماء في هذا العصر تأليف الكتب. فمنها ما كانت وليد أفكار علماء إلورن مثل كتاب أحمد بن أبي بكر (أكوكورو) في النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع أسماه: " بالتقاط المتون في خمسة فنون " وكتابه في تاريخ إمارة إلورن بعنوان: "أخبار القرون من أمراء إلورن" وكتاب "الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو" (الطبعة الأولي عام ١٩٥١م) للشيخ آدم عبد الله الإلوري وكتابه بعنوان "الدين النصيحة" وغيرها من الكتب التي تنيف عن سبعين كتابا من مختلف الفنون والعلوم. ومنها ما كانت شروحا لبعض كتب العلماء العرب وشعرائهم أو لعلماء غرب إفريقيا أمثال: "شرح السوداني على تصريف الميداني" للشيخ آدم عبد الله الإلوري.

أمَّا الجمع والترتيب فعبارة عن جمع أفكار شخص أو مختارات من انتاجات العلماء في كتاب واحد مثل كتاب: "قال الشيخ" للشيخ الإلوري، أو جمع مختارات من أشعار الأدباء في كتاب واحد مثل كتاب "الفواكه الساقطة" للإلوري أيضا.

نماذج من النثر العربي في عصر الاستعمار

نأخذ نموذجا فقط للكتابة النثرية فى هذا العصر من مقدمة كتاب: " التقاط المتون في خمسة فنون " لأحمد بن إكوكورو ومن الخطب المنبرية لآدم عبد الله الإلوري لنرى شيئا من أسلوب النثر الفني في هذا العصر. يقول أحمد إكوكورو بعد الحمدلة والصلصلة:

أما بعد فهذا ما اشتدت إليه حاجة رئيس قومه وفريد دهره مفتي الأسئلة العلمية لأهل زمانه ذلك شيخنا وقدوتنا أبو بكر أهل لاغوس وقد ألح على إخراجه له ولما لم يزل اشتداد الحاجة لذلك ولم يسعف بالإقالة لرغباته في طلب حصول حكمة صالة وفائدة

شاردة عند كل من يعامله أجبته إلى ما سأل وإن كنت كسير الجناح في طيران ذلك الميدان وعثير الجواد في ذلك المضمار استخرجت بهمة عالية وهموم ناصبة بعد ما غصت في بحر كتب الأئمة القدماء والعلماء الفصحاء واستخرجت منها ألفاظًا فجئته منها بهذه اللقطات وسميتها بالتقاط المتون في خمسة فنون [٤١].

رابعاً: عصر الاستقلال

بدأ هذا العصر باستقلال نيجيريا من أنياب المستعمرين عام ١٩٦٠م ويستمر إلى يومنا هذا. وباستقلال نيجيريا أصبح زمام نظام البلاد وسياستها بأيدي أبنائها فعادت كرامة الأمراء والملوك إليهم، إلا أن السلطة التنفيذية لا تزال مسلوبة منهم وهي بأيدي الولاة والزعماء السياسيين. ففي إمارة إلورن لا تزال مكانة الأمراء مرموقة لدى شعبها إلى حد أن احترام الشعب وطاعتهم للزعماء

السياسيين يتوقف على تعاونهم مع الأمراء وكسب مودة بيت الشيخ عالم. ولا بد أن ينعكس هذا في انتاجات الأدباء، ولذلك كثر مدح الأمراء، ورثاء المتوفى منهم والترحيب بهم في كل محفل ومجلس. فقصيدة أحد المحضرمين ورائد حماة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا في العصرين الاستعماري والاستقلالى تصور لنا هذه الفكرة بوضوح عند ترحيبه بأمير إلورن التاسع محمد ذو القرنين الغَمْبري إلى مدرسته بأغيغي، لاغوس، إذ قال:

بكل لساني بل بكل جـوارحي ** أقول لكم أهلا وسهلا ومرحبا

أمولاي ذا القرنين يا ابن محمد ** أمير إلورن طبت أصلا ومنصبا

ورثت لواء الدين من شيخ عالم ** مجدد دين الله في أرض يعــربا

وأجداده الأولي الذين تقـــدموا ** بنشر كلام الله شرقا ومغـــــربا

ترقيت عرش الدين والعلم والتقي ** وصرت أميراً للشئــون مرتبا

وأخمــدت نيران الذين تمـردوا ** إلى أن شروا للأكل بالنور غيهبا

وأحييت آثار الصـــلاح التي عفت ** وصيرت درب العلم للناس مـــــذهبا

وإن كنت قد أجرمت في بعض وجهة ** فربك غفار لمن صار تائبا

وما من تقي أو ولي وصــالح ** تولي أمور النـــــاس إلا وأذنبا(٤٢).

فقد علت منزلة الأمير عند الشاعر حتى لم يعرف كيف يرحب به، فرحّب به بكل لسانه وبكل جوارحه، ولا يمكن للسان أن يتحرك بدون أن تصاحبه الجوارح، والرسول الكريم يصدق ذلك حيث قال بأنه إذا اشتكي من الإنسان عدو تداعي جميع الجسد بالسهر والحمى. تم انظر كيف دفع الحب المنقطع النظير الشاعر إلى أن يثبت أن الله يغفر للأمير من ذنوبه إذا تاب، لأنه لا يمكن أن يتولى أي إنسان، مهما أعطي من التقوى والإحسان، إلا ويرتكب في ذلك الزلل.

الأدب العربي في عصر الاستقلال

بلغ الأدب العربي، شعره ونثره في إمارة إلورن في هذا العصر، أوج مجده من الازدهار والنهضة، شكلا ومضمونا، واتجاها ومذهبا. ويرجع السبب في ذلك إلى عوامل عدة منها: تأسيس المدارس النظامية خارج الإمارة مثل مدرسة الزمرة الأدبية التي أسست في (أبيأوكوتا) في أوائل القرن العشرين وفي لاغوس عام ١٩٢٤م يحضرها أبناء الإمارة ومدرسة العلوم الشرعية المؤسسة بكنو، ومركز التعليم العربي الإسلامي المؤسس بأبيأوكتا عام ١٩٥٢م وقد نقل إلى أغيغي سنة ١٩٥٥م. ثم تأسيس نوع هذه المدارس

في الإمارة منذ سنة ١٩٦٠م أمثال: مدرسة الجواهر الإسلامية سنة ١٩٦٠م وكلية محي الدين الإسلامية سنة ١٩٦٢م ومدرسة دار العلوم لجبهة العلماء والأئمة إلورن سنة ١٩٦٣م، ومعهد إلورن الديني الأزهري ومركز التعليم العربي الإسلامي أوكي أغودي سنة ١٩٦٥م ثم توالى تأسيسها إلى اليوم. وخريجو هذه المدارس وفروعها هم الذين يقومون بثورة علمية وأدبية كبيرة في الإمارة.

ومن هذه العوامل حصول بعض خريجي هذه المدارس على منح دراسية مكّنتهم من الالتحاق بجامعات الدول العربية لإكمال دراساتهم العالية، ومنحهم ذلك –إضافة إلى اكتساب العلوم العربية والتمكن فيها– فرصة الإطلاع على ثقافات العرب وعاداتهم، وقد أثر ذلك في إنتاجاتهم الأدبية.

ومنها بعث بعض الدول العربية، خصوصا مصر، الأساتذة إلى تلك المدارس العربية مما وفر لأبناء المنطقة فرصة التلقي مباشرة من أصحاب اللغة، فانحلت بذلك العقد من ألسنتهم في التكلم بالعربية الفصحى وفي كتابة الإنشاء العربي بشكل رائع بليغ.

ومنها تأسيس قسم اللغة العربية في بعض جامعات نيجيريا، الظاهرة التي سهلت لأبناء الإمارة مواصلة دراستهم إلى أعلى الدرجات في اللغة العربية وآدابها. وكذلك تأسيس بعض الكليات التربوية والمعاهد المماثلة لها مثل: كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية في إلورن وخارجها. وكانت هذه الكليات والمعاهد تمد الجامعات بالطلبة من نيجيريا وخارجها.

ومنها تأسيس المنظمات والجمعيات العلمية للدارسات الإسلامية والعربية أمثال: منظمة معلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا (نتائس) ومنظمة مدارسي اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (نتال)، ورابطة الأدب الإسلامي، وهيئة الأدب

الإسلامي وغيرها. تمنح هذه المنظمات والجمعيات عشاق العربية وحماتها فرصة حضور المؤتمرات والندوات العلمية والأمسية الشعرية والحلقات الأدبية لعرض بضائعهم الأدبية والعلمية، فأدى ذلك إلى نهضة الأدب العربي في نيجيريا بوجه عام، وفي إمارة إلورن بوجه خاص.

ومن هذه العوامل تأسيس المجلات العربية، حتى تكاد كل مدرسة وكلية وجامعة تصدر مجلة، علي الأقل لطلابها أو اتحاد خريجيها، إلى جانب المجلات الأكاديمية لهيئات التدريس. ومن أمثلة هذه المجلات مجلة صوت الإسلام لنقابة المركزيين ومجلة الاستقامة لكلية دار الكتاب والسنة، ومجلة المربد لجمعية طلاب

اللغة العربية بجامعة إلورن.ومن أمثلة المجلات الأكاديمية مجلة اللغة العربية والدراسات الدينية لقسمي الأديان وقسم اللغة العربية بجامعة إلورن ومجلة منظمة معلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا.

وهناك مجلة امتازت عن جميع المجلات الأخرى بكونها أولي مجلة تصدر كل شهرين وتعالج الموضوعات المتعلقة بالحياة من جميع جوانبها، وهي مجلة الرسالة التي أصدرها نخبة من أبناء إمارة إلورن تحت رئاسة مشهود محمود جمبا. والمجلة فريدة من نوعها في نيجيريا(٤٣).

ومن هذه العوامل عقد مناسبات اجتماعية وبرامج ثقافية، مثل مناسبة الزفاف ومناسبة العقيقة والاحتفال بمولد النبي، وليلة القدر، ومناسبة ذكرى تأسيس مدرسة أو إمارة، ومناسبة إقامة دعاء الترحم لميت في الثالث أو السابع من وفاته، أو مناسبة تنصيب إمام أو وزير أو أمير أو افتتاح منزل، أو انجاز مشروع، أو تدشين كتاب أو غير ذلك من المناسبات الاجتماعية والسياسية والدينية والتربوية.

فهذه المناسبات تثير عواطف الأدباء ووجدانهم وتدفعهم إلى قول الشعر أو المقالة أو تأليف كتاب أحيانا أو إلقاء خطاب أو محاضرة. وهناك من شعراء الإمارة من اشتهروا بشعراء المناسبات. فلا يمكن تحديد دور هذه المناسبات في تطور اللغة العربية في نيجيريا وفي الإمارة، بل هي الجو الواسع العريض لخلق بيئة عربية في البلدان النائية عن بلاد العرب.

فظهور الآلة الكاتبة وبالتالي الحاسوب الآلي مما ساعد على حفظ أعمال الأدباء ونشرها، كما وسّعت أجهزة العولمة مثل الإنترنت، والقنوات الفضائية دوائر شعراء الإمارة وبيئتهم والبيئة– كما يقال– هي التي تخلق الأديب.

الشعر في عصر الاستقلال

كثر الشعر في هذا العصر، وتشعبت أغراضه، وتنوعت أساليبه، وتدرجت حالاته بين الجودة والتوسط والضعف، بناء على مدى تمكن الشعراء في اللغة العربية وأسرارها من ناحية، وعلي ثقافاتهم من ناحية أخرى. فمن شعراء هذا العصر من حصل على الشهادة الثانوية، ومنهم من نال درجة الليسانس، منهم من حصل على درجة الماجستير الدكتوراه. كما يوجد منهم من يجمع، إضافة إلى

ثقافته الأصلية، بين الثقافتين العربية والإنجليزية. ومنهم من تثقف بالثقافة العربية فقط. وبديهي أن يتفاوتوا في إجادة نظم الشعر العربي، فمنهم فحول الشعراء كما يوجد منهم الشعرور.

كانت جميع الأشعار المعثور عليها في هذا العصر غنائية وتعليمية، ولم نعثر على الشعر الملحمي أو الشعر التمثيلي. كاد شعراء هذا العصر يستوعبون جميع الأغراض الشعرية المشهورة،. ويمتاز شعرهم ببراعة الاستهلال، والوضوح في الألفاظ والمعاني،

والتوازن فيها والروعة في التصوير البلاغي والوحدة العضوية في القصائد، وحسن استخدام القواعد العروضية إلا نادرا، وهم يستخدمون البحور التقليدية الخليلية ولا يخرجون عليها. وكثير ما يختتمون بالدعاء خصوصا لشيوخهم وبالصلاة علي النبي.

وهناك بعض الأشعار يلتزم أصحابها ما لا يلزم، مثل ترتيب أبيات القصيدة على حسب الحروف الهجائية، أو أكروستيكيا على حسب اسم الممدوح، وباختتام صدر الأبيات وعجزها بالحرف الذي بني عليه القصيدة. كما رأينا منهم من ينظم قصيدته بشكل هندسي على غرار ما صنعه العرب في العصر التركي.

ولضيق هذا البحث لا نستطيع أن نأتي بالنماذج الكافية للشعر في هذا العصر كما فعلنا في العصور السالفة، أو أن نعرض قائمة أسماء الشعراء فيه، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، ولذلك نذكر طائفة من أشهر شعراء الإمارة. فمن المخضرمين: الشيخ آدم عبد الله الإلوري، والشيخ أبوبكر ابرغدوما والشيخ أحمد الرفاعي إندا صلاتي، الشيخ محمد إبراهيم ميماسا النوفاوي والشيخ محمد سليمان أكي الشيخ عبد اللطيف أديكليكن. ومن الشباب: عيسى ألبي أبوبكر، الذي يعتبر أمير الشعراء، وعبد الباقي شعيب أغاكا، وعثمان أبوبكر ايليينلا، وعثمان عبد السلام الثقافي، وعبد الرفيع شئث، وسليمان أحمد أديبايو الرفاعي، وإدريس يوسف، وإبراهيم شئث، وآدم يحي الفلاني، وأمين الله آدم الغمبرى، ونوح إبراهيم، ورضوان يوسف أولاغنجوا، وإدريس الكنكاوي، وعبد العزيز محمد سلمان، وعبد السلام صالح عبد السلام، وعبد الغني راجي الغماوي، وعبد الواحد جبريل سليمان الفلاني، وعبد الكريم عيسي الصارمي، وصالح مصطفى صالح، وشعيب علي الكنكاوي، وعلى مقداد على، وإسحاق أيوب، وعبد الرفيع أساليجو، ومنصور عبد الوهاب، ومصلح يوسف المرتضى القروي، وإبراهيم سعيد أولاومي، وعبد اللطيف سعيد أولاومي، ومصطفى سعيد أولامي، وإبراهيم سعيد أحمد الغمبري،ن ويونس أوغانجا،

وسليمان أيغورو، ومحمد المرتضى محمد الحريري وغيرهم.

ومن نماذج شعرهم قول عيسي ألبى أبوبكر في قضية فلسطين وإسرائيل بعنوان: "خريطة الطريق"،والقصيدة من ديوانه "السباعيات":

أتقود "خارطة الطريق" ** يوما إلى أهدى الطريق؟

جاءت تشق طريقها ** من (بوش) أو فج عميق

أرسمتموها مخلصي ** ن لنصرة الشعب السحيق؟

أو أن يُهشَّمَ أو يعذب ** أو يذلل كالرقيق؟

ربّاه ما هذا التلا ** عب بالرشاء لدى الغريق؟

مدّوا إليه يد المعو ** نة وهو عاني كل ضيق

تبقى فلسطين الحبيـ ** بة عندنا مثل العقيق(٤٤)

فالقصيدة تشير إلى أن أدباء إمارة إلورن في هذا العصر يماشون مع العولمة حيث أصبح العالم قرية كونية صغيرة، وأنهم عضو من العالم الإسلامي الكبير.

و في المدح، فضلاً عن مدح الناس مدحوا المدارس والجوامد والمخترعات مثل الهاتف المحمول، ونكتفي بما قاله عبد الكريم عيسي الصارمي في مدح أمه، يقول:

أماه قلبي مدي الأيام يهواك ** وحسبي الدهر أن الله يرعاك

سقيت نبعك قدما صافيا غدقا ** وليس أنّ الهوى زعم فأغراك

نعم فلى كبد تشتد لوعته ** حتى أنال بشكر العرف مرضاك

حملتني لشهور ظلت مـــدتها ** في لجّة الوهن والتهـــليل نجواك

لله درّك كم عانيـــت من ألم ** عند الـــولادة كيف اليوم أنســـاك

فداك نفسي من ليل أرقت بـه ** واصفرّ من شدة المسعى محياك

وكلما إشتكى عضو أُحس به ** أحسست مثلي فلا ندري من الشاكي

وكم شدوت بألحان لترقدني ** حملا علي الصدر مدعوما بيُمناك

فالشهر والتعب والإشفاق مرحمة ** فكلـــها آية تـــكفي لذكـــراك

يظل عهدك روحا أستمد بـها ** أسباب محـياي من أسباب محياك

أكرم بـها عروة وثقي لها شرف ** أدركت منـها حيـــاتي أي إدراك

أرجو وآمل أن تبقي حضانتـها ** في ذمـــــة الله أو ظل لأمـــلاك

نلت الوفاء وحزت الأمن أوفره ** ماريعت النفس في أجـــواء مبناك

أما الحنان فمـــوفور أباشره ** والكوثر العذب مقـــرون بمرآك

أماه كم من مسرّات وأخيـــله ** بيضاء تحكينها والفضل للحاكي

وظلت نورى الذي دان الظلام له ** ولذة العيش ما أحلي وأزكـــاك

هبني أقوم الليإلى دائما وكـذا ** أقضي نهـــاري في ورد وإمســـاك

ولو بذلت الجبال الشم من ذهب ** وهل جهودي إلا نفح ريّـــــاك

ماذا من البر يكفي شكر واهبتي ** ضوء الحياة ولو أرقي كأفـــــلاك

ما زلت أعجز عن بذل الجزاء ولو ** وفيت كل جميل رِدف حسناك

سفينة الله لا ريث ولا عـــــجل ** قد أمّن الله مجراك ومـرساك(٤٥)

وفي الغزل قال سليمان أديبايو أحمد:

فدى قلمي لحفصة لا سواها ** فقد سمحت لداخله حمـــاها

حماها يشتهيه الناس طــرا ** لما يكســوه من درر حـــلاها

تدينها بـلا شـــك وقـــاها ** وزادتها ثقافتـــها وجـــــاها

بذات الضاد تنطق في هدوء ** كعذب الماء تشربه شفـــاها

حياء الدين يكسبها جمـــالا ** وكل الوقت تحجب في كساها

تطالبها شريعـــتنا بـــــزيّ ** فصار الزيّ رغبة من رنـــــاها

وحشمتها تدلّ على صلاح ** وأبدع ذاك فيها من حيـــاها

إذا بكر تجمع ذاك فيـــها ** تنـــور ليلـــها وصفا غـداها

إذا بكر كحفصة في حـــلاها ** فأنت أحق من يبغي هـــواها

ومن يظفر بحفصة من رجـال ** فصـــنعته تبـــاركها يـــــداها(٤٦)

هذا الغزل رقيق وعفيف، التزم فيه صاحبه تعليم الإسلام وقيمه بحسن اختيار الألفاظ والمعاني وبلاغتها. فهو نموذج ينعكس فيه اتجاه شعراء الإمارة في هذا الغرض.

وفي التحريض يقول عبد الرفيع شئث يستنهض الشباب ليثوروا علي الذين أفسدوا مجتمعهم:

شباب بلاد أفق بل أجب ** فهذا سؤال لكل الشباب

وإن كنت منها نشأت فقل لي ** ألم يصر هذا الشراب السراب

فمن أين، إلى ما وصـــلنا ** إلى أين نمضي، وماذا الإيـــاب؟

تخبطـــنا من مكائـــدنا ** كأن شعاراتـــنا الانقـــــلاب

أخي هل رأيت اضطراب الأمور** علينا، نتيجة ظلم الكـــلاب

لصوص كبار تولوا الزمام ** زمام أمـــورك، أنت المصـــاب

دماؤك في كل حين نهاب ** بها يملكـــون عظيم الركـاب

حساباتهم من حقوقك صاح ** فبئس الحساب بشر اكتساب

فأضحت بلادك- فسقا وجورا ** وكذبا وغدرا- مكان الخراب

شباب بلادي هيا نثر ** ونحم البـــلاد لترك استـــلاب[٤٧]

وفي المناسبات نختار قصيدة عبد السلام صالح عبد السلام نظمها شكرا لله وتهنئة لأستاذه الذي أنجب له ولد اسمه إبراهيم بعد ثمانية أعوام من الزواج. والقصيدة في عشرين بيتا قال فيها:

هذا الذي كنا نـــــريد قـــديما ** ونراه في كل الأمور عظـــيما

هذا الذي بخل القضاء بجوده ** زمنا مضى حتى نظـنّ عقـيما

هذا على تلك الظنانة كلـــها ** ردّ يعدّ على الظنون هجوما

هذا يؤكد أن ربك لم يـزل ** حيا مجيبا للعــباد رحـــــيما

ما عز قط علي القويّ أمورنا ** يشفي–بأمر–مبتلي وسقيما

ينجي العباد من الشدائد ربنا ** ويجــل محتقرا نـــراه لئيما

يغني الفقير بكافه والنون مو ** لانا يأوي إن أراد يتيـــــما

إلى أن قال:

هل من رواة والقصيدة هـذه ** خبر يطالب أن يكون عموما؟

خبر يحبذه حبيب "أونيرتي" ** وعـــدوّه قد يشمئز هموما

أستاذنا عبد اللطيف"أونيرتي" ** بشـــراك إبراهيم جاء نعيما

الله أكبر أنجبت لك أمــنا ** ولدا تقرّ به العيون سليــما

الحمد لله الذي أعطــاك إبـ ** راهيم لا منـــعا ولا تحريما

هذا الجد، أمة مع كونـه ** رجلا وحيدا مسلم تكـــــريما

هذا إمام كالخليل سميه ** أسدي الصلاة إليه والتسليما

يا ربّ طول عمره بسلامة ** وعناية يحيا بها معصوما[٤٨].

النثر في عصر الاستقلال:

طرق أدباء الإمارة في هذا العصر من فنون النثر: الرسائل الإخوانية والرسمية، والخطب المنبرية، والمحاضرات في المناسبات الإسلامية، والمقالة، والصحافة، والتأليف، والترجمة، والسيرة الذاتية، والتاريخ، والقصة القصيرة، والرواية، والمسرحية، والتوقيعات، والمقامات، وتراجم الأعلام.

وتشمل هذه الفنون الموضوعات الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والتربوية، والاقتصادية، والعلومية، والإعلانية، والنقدية، والرياضية، والثقافية. وتتصف أساليبها على العموم بالوضوح في الألفاظ والمعاني، والروعة، وحسن التصوير، والديباجة، والتسلسل في الأفكار، وبراعة الاستهلال، وعدم التكلف بالبديعيات إلا ما جاء عفواً، والابتداء على الأغلب بالحمدلة والاختتام بالصلاة على النبي، خصوصا في الخطبة.

فمن أشهر كتاب هذا العصر من المحضرمين الشيخ آدم عبد الله الإلوري، ومن الشباب: عبد الرزاق ديريمي أبوبكر، وزكريا إدريس حسين، وعبد الباقي شعيب أغاكا، وحمزة عبد الرحيم إشولا، وشيخ أحمد عبد السلام، ويوسف كولاولي جمعة، وأحمد سعد الدين الكاتبي، وشعيب بخاري، وعبد الغني عبد السلام أولادوسو، ومشهود محمود محمد جمبا ويعقوب عبد الله، وبدماصي لنري يوسف، وآدم يحي الفلاني، وعبد الغني عبد السلام، وشعيب السيوطي ألوغيلي، وعبد الغني عبد الحميد أكوريدي، وخليل الله عثمان بودوفو وإسحاق أولايوولا، عبد الرزاق الكاتبي، وأمين الله آدم الغمبري، ومشهود غاتا، وعبد اللطيف أونيريتي إبراهيم، ورحمة الله شيخ وغيرهم.

نموذخ للنثر في عصر الاستقلال

نختار النموذج للنثر في هذا العصر من رثاء عبد الكريم سليمان المفيلي الفلاني للشيخ آدم الغمبرى المتوفي عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ما نصه :

آها لمن يغتر بموقف سماؤه ممازق بالسحاب وأرضه خادعة بالسراب- وهو يتلى عليه بكرة وأصيلا قوله تعالى- "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" بعدا لمن لا يشعر بأن العيش نوم والموت يقظة، وظل يمرح غافلا عن حقيقة إيجاده فى هذا الكون وما يترتب عليها من الأعمال الواجب أداؤها، باذلا كل تالد وظريف لجمع ما فيها من الشهوات والدناءات ظنا بأنه في حديقة ذات أشجار مودقة وأثمار يانعة لا تنزوي أبدا.

ومكلف الأيام غير طباعها ** متطلب في الماء جذوة نار

ألم يأن لمثل هذا الإنسان أن يخشع قلبه لذكر المولي فيشمر عن ساعد الجد في تعويد نفسه على مكارم الأخلاق ومحاسن الأحوال والعمل بمقتضي ما فى الكتاب والسنة متبتلا للعمل الصالح في توجيه أبناء المسلمين إلى ما يجعلهم خير خلف لخير سلف. تأسيا بالفقيد المحترم الشيخ آدم بن الحسين الغمبرى الكشناوى الذي كان قوي الشخصية، مهيب الجانب متحمسا لنصرة قضايا المسلمين بوجه عام ودار العلوم الأم بوجه خاص.

حقًا، فاستئثار الله تعالى بمثل هذا الشيخ ثلمة للدين، وهدم لمباني مدارس الحياة ومن يسد هذه الثلمة أو يتجشم المتاعب التي كان يتجشمها هذا الشيخ الذي تنتهي إليه شمائل العلماء و وقارة الرؤساء، وقد كان دقيق الرؤية وسريع الحافظة وحسن المعاملة؟

سلام على من بث روح العلم في الأجساد البالية، ومغفرة من الله لمن كان مثالا حيًّا رائعا للكرام، ورضوان منه تعالى لكثير المروءة والإنسانية، ووداع لنور يضيئ أعماق القلوب القاسية.

صبراً يا عائلة فقيد الإمارة الإلورية، وصبراً يا من كان فصيحا في اللغة العربية صحيح النطق، مفوهّا زكيا في الطليعة، وشاعرا مفلقا بحاثة مولعا بالإطلاع الواسع على أثمن الكتب وأمهاتها، ومن يشتغل حاليا منسقا عاما لجمعة إحياء اللغة العربية وثقافتها بمدرسة العلوم العربية بكانو، محمد الأمين آدم الغمبري.

فالمولى نرجو أن يتغمد الشيخ برحمته، ويلحقه بالذين قالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور، الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب آمين وشكرا.

فما أشبه هذه القطعة بالرثاء الشعري في أفكارها وأسلوبها المتصفة بالعاطفة الصادقة وأخيلة مؤثرة وصور بلاغية رائعة.

الخاتمة

خلال السطور السابقة درسنا الأدب العربي في ظل إمارة إلورن الإسلامية، ملقين النظر في الأطوار التي مرّ بها، وفحصنا عوامل تكوينه وأحواله والمؤثرات التي أدت إلى تطوره وازدهاره حينا وهبوطه حينا آخر ونهضته أخيرا. كما تطرقنا بالكلام إلى تأثيره في الآداب الأجنبية الأخرى في الإمارة.

ونتيجة لذلك كله أدركنا أن وصول الشيخ عالم بن جنتا وأتباعه ثم أبنائه إلى أرض إلورن وتعاونه مع علماء ربوة السنة، الذين أدركهم في إلورن، ووفود العلماء من مختلف البلدان الإسلامية، داخل نيجيريا وخارجها، إلى إلورن، كل ذلك ساعد على قيام الدولة الإسلامية فيها، فظهرت إثر ذلك حركة علمية وأدبية كبيرة تصبغت بصبغة إسلامية. بدأ هذا الأدب ببطء بمحاكاة العرب وتقليدهم في نظم الشعر وتأليف النثر، ثم تطور إلى الابتكار والإبداع، ثم ازدهر بفضل تأسيس المدارس النظامية العربية في البلاد الذي قاد حملته الشيخ آدم عبدا لله الإلوري بأمر الأمير ذي القرنين الغمبرى. وزاد هذا النهوض نشاطا عندما استقلت نيجيريا وفتحت السفارات العربية أبوابها على مصارعيها في نيجيريا الأمر الذي أدى إلى توافد البعثات العلمية إلى بلاد العرب ورجعوا إلى أهاليهم متمكنين في اللغة العربية وآدابها. فتقمص الأدب على أيدي هؤلاء وإخوانهم الذين تخرجوا في جامعات نيجيريا زيا جديدا رائعا يوافق روح العصر الحديث، صفاته التنميق، والأصالة، والروعة، وحسن الديباج، وفوق ذلك كله التصبغ بالطابع الإسلامي. ويطرق الفنون الأدبية بأجمعها بشكل مدهش .

وأدرك البحث أن الأدب العربي فى هذه الإمارة أثَر فى الآداب المحلية الأخرى. ففى ناحية الشعر ظهر شعر شعبي باسم "واكا إلورن" وتصبغ بالصبغة الإسلامية، يستمد معانيه من القرآن والسنة وكلام العلماء الصالحين. كما عثر البحث على أشعار قرضت بلغة يوربا ودونت بالحروف العربية، وحاول أصحابها إدخال التقفية فيها. كما وجدنا نخبة من دارسي اللغة العربية يحاولون البحث عن عروض شعر يوربا وذلك من أثر تذوقهم لعروض الشعر العربي. وإضافة إلى ذلك ظهر لون آخر من الشعر يدعى "واكا مكوندورو" وهو الشعر الذي

تستخدمه جمعية زمرة المؤمنين (أصحاب العمائم) في مجالس وعظهم. وفي النثر الفني، أثر الأدب العربي الإسلامي في المؤلفات الأجنبية خصوصا اليوربوية منها والإنجليزية، كما ظهر أثره جليا في الصحافة والمسرحية حيث تقترض هذه الفنون الكلمات والعبارات والمعاني من العربية، وتقتبس من القرآن والحديث النبوي والأشعار العربية. ولكن ضيق نطاق البحث حال دون تناول هذا التأثير بالتفصيل.

التوصيات:

١. اكتشف البحث أن هناك مخطوطات عربية من أعمال أدباء إمارة إلورن لا تزال في خبايا الطمور، تضطر إلى منقح ومحقق وناشر فدعى إلىالإسهام فى هذا المضمار
٢. حان وقت تأسيس منظمة دولية للغات الإفريقية وآدابها، فإنَّ ذلك يفتح مجالاً واسعاً لروادها لتبادل الآراء والمعلومات بشكل أفضل.

الهوامش

١- جمبا، مشهود محمود: *واكا إلورن: فن أدبي إسلامي شعبي،دراسة تحليلية لأغاني "واكا" الإسلامية في مدينة إلورن نيجيريا* ، (إلورن- نيجيريا: مطبعة توفيق الله، ١٩٩٧م). ص ١

٢- الإلوري، آدم عبد الله: *الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي الفلاني*، الطبعة الثانية،(بيروت:.١٩٧١م.)ص135

٣- جمبا، مشهود محمود: المرجع السابق ص ١-٢

٤- الإلوري، آدم عبد الله: المرجع السابق ص 134

٥- المرجع نفسه ص133

٦- جمبا، مشهود محمود : المرجع السابق ص . ٢

٧- الإلوري، آدم عبد الله: المرجع السابق ص135

٨- الإلوري آدم عبد الله: *لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن* ، (القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعتها، ١٩٨٢م.)ص .٢١

٩- المرجع نفسه ص ٢٢-.٢٣

١٠- المرجع نفسه ص .٩

١١- المرجع نفسه ص.٩

١٢- المرجع نفسه ص٢٤ .

١٣- المرجع نفسه ص ٢٤- .٢٥

١٤- الثقافي، عثمان عبد السلام محمد (الدكتور*): تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن منالعصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الإستقلال*، الطبعة الإولى،(نيجيريا: Islamic Publication Centre LTD ، ٢٠٠٧م.) ص .١٨

١٥- الإلوري، آدم عبد الله: *لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن*، المرجع السابق ص .٣٠

١٦- اسم بلد كبير في ولاية أويو في الجنوب الغربي من نيجيريا.

١٧ الإلوري، آدم عبد الله: *لمحات البلور في مشاهير علماء الورن*، المرجع السابق ص .٢٦

١٨- المرجع نفسه ص ٣١- .٣٢

١٩- إبراهيم، لطيف أونبريتي: "من ملامح الشعر الشعوبي العربي في نيجيريا" قدمه للنشر في مجلة "New Horizons in Arabic and Islamic Studies in Nigeria (Ed. Z.I. Oseni) Auchi: Darun-Nur . ٢٠٠٦م . ص ٢

٢٠- الإلوري، آدم عبد الله: *لمحات البلوري في مشاهير علماء الورن*،المرجع السابق ص .٢٨

٢١- المرجع نفسه ص .٤٠

٢٢- المرجع نفسه ص .٣٥

٢٣- المرجع نفسه ص .٣٧

٢٤- المرجع السابق ص .٢٩

٢٥- الإلوري، أحمد بن أبي بكر الفلاني: *أخبار القرون من أمراء بلد الورن*، الطبعة الأولى، آدم عبدالله الإلوري، (أجيجي، نيجيريا. ١٤١٢هـ/١٩٩١م.) ص.٩

٢٦- الإلوري، آدم عبد الله : *مصباح الدراسات الأدبية في ديار نيجيريا*، الطبعة الثانية، (أغيغي- نيجيريا: مركز التعليم العربي الإسلامي،.١٩٩٢م.) ص.٧٦

٢٧- الثقافي، عثمان عبد السلام محمد (الدكتور): المرجع السابق ص .٣٢

٢٨- الإلوري، آدم عبد الله: *لمحات البلور في مشاهير علماء الورن* المرجع السابق ص .٥٠

٢٩- الثقافي، عثمان عبد السلام محمد (الدكتور): المرجع السابق ص.٣٣

٣٠- المرجع نفسه ص٣٧

٣١- بدوى، أحمد أحمد: أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والنوزيع. ١٩٩٦ م. ص ٢٩٧

٣٢- الإلوري، أحمد بن أبي بكر الفلاني: *المرجع السابق* ص ١١.

٣٣- إبراهيم، لطيف أونيريتي : "الرثاء في الشعر آدم عبد الله الإلوري"

in *JARS Journal of Arabic and Religious Studies*،Publication of Department of Religions،University of Ilorin ،Ilorin.Volume 15. p. ٨٠

٣٤- هيئة التدريس بالمركز أغيغي: لقطات من قصائد الإلوري، مطبعة الثقافة الإسلامية،

أغيغي، لاغوس، نيجيريا.١٩٨٦م. ص ٢٠

٣٥- يوسف، يعقوب: "دراسة تحليلية لحركات المدح وتطوره في مدينة إلورن"، بحث قدمه إلى

قسم الأديان، جامعة إلورن لنيل درجة الماجستير عام١٩٩٠م. ص.١٦

٣٦- إبراهيم، لطيف أونيريتي : "الشيخ آدم عبد الله الإلوري والشعر العربي في نيجيريا"، بحث قده الي قسم الأديان، جامعة الورن، إلورن، نيجيريا. ١٩٩٥م. ص ٤٠.

٣٧- يوسف، يعقوب: المرجع السابق ص ١٩.

٣٨- الثقافي، عثمان عبد السلام محمد (الدكتور): المرجع السابق ص ٤٢.

٣٩- الإلوري، آدم عبد الله: *مصباح الدراسات الأدبية في ديار نيجيري*، المرجع السابق.١١١

٤٠- الإلوري، أحمد بن أبي بكر الفلاني: *المرجع السابق* ص ٩.

٤١- إبراهيم، لطيف أونيريتي : "لشيخ آدم عبد الله الإلوري والشعر العربي في نيجيريا"ص.٣٦

٤٢- إبراهيم، لطيف أونيريتي: "فن المقالة في الأدب العربي النيجري"، في مجلة *منظمة مدرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية فى نيجيريا، (نتائس)* العدد ١١، مطبعة شيبوتما، إجيبوأودي، يجيريا. ٢٠٠٤م ص ١١٢.

٤٣- أبوبكر، عيسى ألبي (الدكتور) : *السباعيات*، ديوان شعر، (القاهرة: مطبعة النهر للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.) ص 67

٤٤- الصارمي، عبد الكريم عيسى: "أماه" مخطوطة شعرية أخذتها منه، بدون التاريخ.

٤٥- أحمد، سليمان أديبايو : *السطور العطرة*، ديوان

٤٦- الثقفي، عثمان عبد السلام محمد (الدكتور): المرجع السابق ص ٧٧-٧٨.

٤٧- عبد السلام، صالح عبد السلام: "خبر يطالب أن يكون عموما" في *البنينيات* مجموعة قصائد لبعض الطلبة النيجيريين بمعهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية فرع كلية الدعوة الإسلامية في جامعة أبومي كالافي جمهورية بنين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.ص٣٥

٤٨- المغيلي، عبد الكريم سليمان الفلاني: "الإنسان بين اليقظة والنوم خيال سار" من مجموعة مقالات وقصائد ألقيت بمناسبة وفاة الشيخ آدم بن الحسن الغمبري الكشناوي،حررها محمد الأمين آدم الغمبري، (نيجيريا: مطبعة رزكو،كنو.١٩٩٧م.) ص ٣٢

Abstract

This Paper studied Arabic literature under the influence of Islamic kingdom, Emirate and Empire in West Africa. Due to the limited scope of the paper, effort was concentrated on Ilorin Emirate of Nigeria with the aim of using it as a case study for other Emirates. To achieve this objective, a brief discussion was made on the history of Islamic Emirates and Empires in the region. This was followed with full description of Ilorin Emirate in terms of its geographical location as well as its growth and development, before dwelling into examination of the activities of Arabic literature in the Emirate. It was discovered that Arabic literature in Ilorin Emirate started with imitation and adaptation of the Arabs' ways of prose and poem writing. This was later developed into creativity and originality in the production of the genres. All the Arabic literary works bear Islamic flavor in all its ramification and a significant part of it measured up to acceptable standard in Arab word. It was also discovered that Arabic language influenced considerably some local languages and their literature. The paper called on researchers to embark on manuscript editing and preservation of the Arabic literary works of the Emirate for the use of the generations yet on born.